جامعة الشهيد حمّه لخضر –الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

رحلات الحج في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

(القرن 7-8هـ/ 13-14م) أنموذجاً

مذكرة مكمّلة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر

في تاريخ المغرب الوسيط والحديث

إعداد الطالبتين:

آسيا كانش

مروة اللبي

الأستاذ المشرف:

أ. علال بن عمر

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. علي شعوة	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي
أ.علال بن عمر	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي
أ. الكاملة فرحات	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي

السنة الجامعية : 1437-1438هـ / 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله والحمد لله.

لقد وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، وذلك بفضل ربي.

فيا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وامام المتقين، وقائد المجاهدين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيرا، وبعد :

نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل: **علال بن عمر** الذي تفضل بالإشراف على انجاز هذا المشروع لمذكرة تخرجنا، حيث لم يبخل علينا لا من وقته ولا من سعة صدره الرحب أو من علمه، منذ اللحظات الأولى، مسديا إلينا توجيهاته وإرشاداته، جعلها الله في ميزان حسناته إن شاء الله.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة قسم العلوم الإنسانية بجامعة الشهيد حمة لخضر، الذين كانوا لنا السند في إنارة الدرب وبلوغا لعلى، والذين رافقونا طيلة خمس سنوات من التعليم الجامعي، كما لا ننسى تقديم الشكر والإمتنان إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد وقدم لنا يد المساعدة في إنجاز هذا العمل.

قائمة المختصرات

اختصارها	الكلمة
(د.س)	بدون سنة
ط	طبعة
(د.ط)	بدون طبعة
ج	جزء
(د.د)	بدون دار
تر	ترجمة
تح	تحقيق
قس	قسم
مج	مجلد
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
(د.ب)	دون بلد
تق	تقديم
=	تهميش مستمر

مقدمـــة

إن الرحلة وجدت مع الإنسان وتعددت أهدافها ومراميها، وقد كثرت الرحلات الأندلسية والمغربية وتنوعت، فتجد بعضهم ارتحل بدافع الاستطلاع والاكتشاف أو بقصد طلب العلم أو بدافع أداء فريضة الحج، وهذه الأخيرة تعتبر من أشهر أنواع الرحلات على مر التاريخ، ذلك لما يكتسبه بلد الحجاز من قداسة ومنزلة عظيمة لدى نفوس المسلمين عبر أنحاء العالم.

كان المسلمون من المغاربة يمارسون هذا النوع من الرحلات منذ القرون الهجرية الأولى، وقد دون بعض الرحالة تلك الرحلات ومن هنا جاء موضوع الدراسة بعنوان "رحلات الحج بالمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط" (القرن 7- 8 أنموذجاً).

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية الموضوع في التعرف على رحلات الحج وأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، باعتبارها الطريقة التي يستطيع بها المغاربة التنقل والحركة وزيارة المراكز العلمية في بلاد المشرق هذا الى جانب هدفها الرئيسي إلا وهو أداء فريضة الحج التي لها أهمية بالغة في نفوس المسلمين وعليه اخترنا ان نتعرف على الرحلة إلى الحج في المغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

ومن **أسباب** اختيارنا لهذا الموضوع نذكر:

- أهمية الموضوع حيث وجدنا أن تسليط الضوء على رحلة الحج يفتح المجال واسعا للوقوف على دور رحلة الحج في الحياة الثقافية والفكرية.

- كذلك جدة الموضوع، فقد دلنا اطلاعنا على عدم وجود دراسات علمية أكاديمية متخصصة ومفصلة في مثل هذا الموضوع والفترة المدروسة المتمثلة في القرنين السابع والثامن الهجريين.

- البحث والتعرف على تزايد رحلات الحج في هذه الفترة المدروسة .

- توضيح أهمية رحلة الحج والأهمية التي تكتسبها الحجاز في نفوس المسلمين.

أما **هدفنا** من خلال هذه الدراسة فهو التعرف على إرهاصات رحلة الحج خلال هذه الفترة، وتسليط الضوء عليها، ومعرفة اهم الرحلات والرحالة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

كما تتمحور إشكالية الدراسة :كيف تميزت رحلات الحج في بلاد المغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين؟ وما تأثيرها على بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط؟ وتحت هذه الإشكالية المحورية تبادرت في أذهاننا عدة أسئلة فرعية من شأنها أن تقودنا إلى الإجابة عن الإشكالية السالفة وأهمها:

- ماهي دوافع الرحلة إلى الحج؟

- ما هي ركب الحجيج المغربية والصعوبات التي واجهتهم؟

- من هم الرحالة الذين ارتحلوا لأداء فريضة الحج خلال القرنين السابع والثامن الهجريين وما مميزات رحلتهم؟

وللإجابة على هذه التساؤلات رسمنا خطة قسمنا فيها موضوع الدراسة إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

بالنسبة للمدخل كان بعنوان تعريف الرحلة فقد تطرقت فيه إلى تعريف الرحلة ومعرفة مضمونها لغة واصطلاحنا.

أما الفصل الأول بعنوان ارهاصات رحلات المغاربة الى الحج فقد تطرقت فيه اولا إلى دوافع الرحلة إلى الحج بمختلف اشكالها وثانيا أهم المراكز العلمية في المشرق والتي استفاد

منها الرحالة المغاربة والاندلس بدورهم وثالثا أهم ركب الحجيج المغربية المتجهة نحو الحجاز ورابعا الطرق والمسالك المؤدية الى الحجاز وخامسا معيقات رحلة الحج بما فيها الطبيعية والبشرية.

أما الفصل الثاني بعنوان نماذج من الرحالة في القرن السابع والثامن الهجريين فقد تطرقت فيه أولا إلى معرفة نماذج من الرحالة قبل القرن السابع والثامن الهجريين وثانيا معرفة نماذج من الرحالة خلال القرن السابع الهجري وثالثا نماذج من الرحالة خلال القرن الثامن الهجري.

أما **المنهج** المتبع في الدراسة هو المنهج التاريخي لاستخلاص الحقائق التاريخية، وإعادة بنائها بصورة موضوعية من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية المتصلة بهذا الموضوع، معتمدين في ذلك على الوصف، لوصف الأحداث والأماكن كما أوردتها المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث.

أما الدراسة النقدية للمصادر اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

كتب الطبقات والتراجم:

– كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي هو عبارة عن قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين والذي يحتوي على ثماني اجزاء تكلم فيه عن مجموعة من النساء والرجال وهو تراجم لأدباء وفقهاء وقضاة واطباء ومهندسين وغيرهم والذي تكمل اهميته بالنسبة للموضوع في أننا استعنا به في الفصل الثاني لتراجم بعض الرحالة المغاربة الذين ارتحلوا إلى المشرق ونخص هنا الجزء السادس.

كتاب "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم" لأبو بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفي سنة 1102/494م

ويحتوي الكتاب على جوانب هامة في التاريخ الحضاري وكذلك تضمنه على نصوص حول ثقافة المجتمعات بالإضافة لاهتمامه بتفصيل ما أمكن من حياة المترجم لهم من فقهاء إفريقية ورحلاتهم وشيوخهم خلال القرن الثاني والثالث والذي استعنا به في معرفة من ارتحلوا لأداء فريضة الحج خلال القرن الثاني والثالث الهجريين وذلك في الفصل الثاني للمذكرة.

كتب الرحالة: وهي متعددة نذكر منها:

– العبدري الحيحي المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري الذي اشتهر برحلته المسماة "برحلة العبدري"، الذي قادته إلى الحجاز سنة 688هـ/1289م، وسجل لنا عن الحياة الفكرية والثقافية لأهم الحواضر التي زارها وخطورة المسالك الرابط بين الحواضر التي مر بها.

– كتاب رحلة ابن بطوطة المسامة "تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المتوفي سنة 749هـ/ 1877م ،وهي رحلة حافلة بالمشاهدات والاحداث التاريخية كما تضمنت وصف لمظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية للأقطار التي زارها في المغرب وحتى البلاد المشرقية عموما، ولقد استفدنا منه خلال الاستعانة به في الفصل الأول والثاني الخاصة بالمذكرة.

–**كتب التاريخية** نذكر منها:

ومن بين المصادر التاريخية التي يجب على الباحث الاعتماد عليها نجد كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "لعبد الرحمن بن خلدون المتوفي سنة 808هـ/1405م حيث قدم لنا معلومات غزيرة ومهمة في فترة الدراسة والذي يحتوي على ثماني أجزاء والاعتماد الكبير كان على الجزء السادس والسابع المعتمد عليه في الفصلين الأول والثاني الخاص بالمذكرة.

كما أنه يعتبر من رحالة القرن الثامن الهجري. ولا يمكن أن نهمل كتابه المقدمة الذي عالج فيه مواضيع عديدة وبطريقة رائعة، حيث استفدنا منه كثيرا.

كتب الجغرافية، نذكر منها:

كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" لمحمد بن ادريس الحسيني المعروف بالشريف الادريسي المتوفي سنة 548هـ/1159 والذي يشمل معلومات كثيرة ومهمة في مجال الجغرافيا أي المدن والقرى والاماكن ولقد أفادنا في الفصل الأول وذلك بذكره لمعلومات دقيقة على بعض المدن والطرق والمسافات.

– كتاب "البلدان" لأحمد بن ابي يعقوب اسحاق الشهير باليعقوبي والمتوفي سنة 384هـ/797م والذي يشمل وصفا للمدن والبلدان التي زارها والذي افادنا كذلك في الفصل الأول بذكره للمدن والقرى.

– كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل الذي يعتبر مصدرا مهماً لمعرفة المسالك والطرق وذكر الاقاليم والبلدان وذكر المسافات بينها الذي استعنا به في الفصل الأول.

أما بخصوص **المراجع** نذكر أهمها:

– كتاب "الرحلات المغربية والاندلسية" للدكتورة عواطف محمد يوسف نواب هو عبارة عن دراسة تحليلية ومقارنة أسهمت في إلقاء الضوء على أهمية دراسة كتب الرحلات وأسلوبهم ومنهجهم الذي اتبعوه في تدوين رحلاتهم وتسجيل انطباعاتهم والذي استعنا به كثيرا في إنجاز مذكرتنا.

أما بالنسبة **لصعوبات البحث:**

فإن أي باحث قد تعترضه مجموعة من الصعوبات ومن هنا فقد صادفتنا مجموعة من الصعوبات نذكر منها:

– صعوبة البحث في المادة العلمية، وقلة المصادر والمراجع المتناولة للموضوع في الفترة المدروسة.

– الاعتماد على الاستنتاج في الوصول للحقيقة العلمية التاريخية، وهذا ما صعب علينا إنجاز البحث بكل جزئياته.

– كما وجدنا بعض الصعوبات والعراقيل لاسيما في مجال استثمار المادة العلمية والخبرية وبلورتها وجعلها تتلاءم وتنسجم مع الموضوع.

لكننا حاولنا بما توفر لنا من إمكانيات أن نخرج هذا العمل الى النور بشكله الحالي ونرجو أن يجد القبول عند الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب الوسيط.

مدخل

مفاهيم أولية

- **تعريف الرحلة:**

أ- لغة:

ب- اصطلاحا:

لقد عرفت الرحلة عبر مراحل التاريخ الإسلامي، بأنها مظهر من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، بما ساهمت في ربط ثقافة المشرق بالمغرب.

- **تعريف الرحلة:**

أ-لغة:

لقد تعددت تعريفات الرحلة فنجد ابن منظور يعرفها كالآتي: الرحلة في اللغة هي الترحيل والارتحال ويقال: رحل الرجل إذا سار، وهي من يرحل رحلا ورحيلاً، ورحلة من بلد إذ خرج منها، ورحلا رحولاً وقول رُحّل أي يرتحلون كثيرًا، ورجل رحّال عالم وذلك تمجيدا له والرحل اسم للارتحال.[1]

وفي معنى آخر نجد الرحلة جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقعد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنوا المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل.

وبذلك يطلق لفظ رحلة على من انتقل من مكان إلى آخر ومنه نجد لفظ رحَّال: وهو الشخص المتنقل من مكان إلى آخر، فالشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه وانتقل إلى غير مكان أو جهة، لذا كان لفظ رحلة أعد وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر.[2]

وكذلك جاءت في اللغة بمعنى السير والضرب في الأرض. "الترحيل والارتحال"، يقال رحل الرجل إذ سار، وقوم رحَّل إذ يرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال: عالم بذلك مجد له وإبل مرحلة عليها رحالها، وبمعنى الانتقال والتنقل من مكان إلى آخر، ارتحل البعير رحلة أي

[1]- ابن منضور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، س)، ج2، ص1609.

[2]- عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من طرف تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د، ط)، 1996م، ص ص41,40.

سارو معنى، وارتحل القوم عن المكان انتقلوا، قد رحلوا ثم جرى ذلك في المنطق، إذ قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحُل وهو من قوم رُحَل.[1]

ب- اصطلاحا:

الرحلة هي الوسيلة الهامة لتحصيل المعارف وتوسيعها عن طريق لقاء العلماء، وهنا نجد ابن خلدون في مقدمته يعرف الرحلة فيما يلي: «فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال...».[2]

فالرحلة هي مخالطة الناس والأقوام ومصدر هام لرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، وكذلك للرحلات قيمة تعليمية للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.[3]

ولم يرتبط مفهوم الرحلة بطلب العلم فقط، بل تعداه لأداء فريضة الحج، ومنه فإن الرحلة الحجية أو الحجازية[4]، كما تذكرها بعض المصادر هي رحلة دينية يقصدها الرحالة بدافع أداء فريضة الحج، وهذا لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾.[5]

---

[1]- الجوهرة بن عبد الله المنيع: الرحلات العربية مصدر من مصادر التاريخ المملكة العربية السعودية في فترة (1338-1473هـ / 1960- 1953م)، مكتبة الملك فهد، الرياض، (د، ط)، 1431هـ، ص ص28,27.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1421هـ، 2001م، ج1، ص745.

[3]- حسن محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1989م، ص15.

[4]- فيما يتعلق بتسميات هذه الرحلة فإن المغاربة جلهم درجوا على تسميتها بالرحلات الحجازية، ويرجع ذلك إلى أن المغاربة قديما حين كانوا ينصوا في بداية رحلاتهم على أن نواياهم، منها الوجهة الحجازية بغرض حج بيت الله الحرام وزيارة المدينة المنورة، ومن الأعلام الذين أطلقوا هذه التسمية: خالد بن عيسى البلوي وهو رحالة الأندلس (ت 760هـ) وهناك من المغاربة من خرج على هذا العرف فأطلق عليها اسم الرحلة الحجية مثل سعيد بن سعيد العلوي في كتابه الرحالة العرب والمسلمين...للمزيد ينظر: بن عيسى بو يوزان: فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن التاسع الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ، ص236.

[5]- القرآن الكريم، سورة الحج، الآية: 27.

كما يقول أيضا الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى».[1]

تعد الرحلة السفر في الأرض من السنين الماضية، أي التي يدعوا إليها القرآن الكريم في سورة العنكبوت: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[2]

كما يعرف الدكتور عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيد في كتابه "الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها" على أن الرحلة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، سواء كان ماديا أو معنويا، والحركة خلال الرحلة بقطع المسافات في السفر وجمعه أسفار.[3]

إن العديد من الرحالة العرب، منهم المغاربة عُرفوا بالسير والترحال وذلك لأسباب مختلفة ومتنوعة[4]، وعموما فإن الرحلة هي ضرورية مع اختلاف هدفها سواء لطلب العلم، أو أداء فريضة الحج فلقد ساهمت في الاكتشاف والتعرف على ثقافات جديدة ومتنوعة في العالم سواء حضارية كانت أو دينية...أو غيرها.

---

[1]– محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه: صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ط1، 1433هـ، ج2، ص60.

[2]– القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 20.

[3]– عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 1996م، ص15.

[4]– جمال الدين فاتح الكيلاني: الرحلات والرحلة في التاريخ الإسلامي (دراسة تاريخية)، دار زنبقة، (د، ط)، 2014م، ص63.

الفصل الأول

إرهاصات رحلات المغاربة إلى الحج

أولا: دوافع الرحلة

ثانيا: المراكز العلمية في بلاد المشرق

ثالثا: نماذج من ركب الحجيج المغاربي (قوافل)

رابعا: طرق ومسالك رحلات الحج

خامسا: معيقات رحلات الحج

أولا: دوافع الرحلة

تعد بلاد الحجاز هي مهد الحضارة العربية الإسلامية ومهبط الوحي فالحج كان ولايزال رحلة يتشوق إلى أدائها الناس عامة والعلماء والفقهاء خاصة، ونتيجة لذلك فقد اكتسبت رحلة الحج صفة دينية شعبية لأن الحجاج كانوا يتجمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو تدريجيا كلما تقدم بها الطريق بما ينظم إليها من وفود أخرى من كل بقاع الأرض، ولا ننسى أن الحج كان فرضا لازما على الفرد المغربي باعتباره مسلما.[1]

ولا يقتصر حضوره ووقعه في الرحلات الحجازية فقط على مناسك الحج، بل كانت هناك دوافع أخرى كالتزود بالعلم وملاقاة العلماء، إضافة إلى ذلك هناك دافع التجارة الذي لا يقل أهمية على الدافع الديني والعلمي وحتى الدافع السياسي.

1- الدافع الديني:

لقد جعل الإسلام خمس أركان واجبة على المسلمين وخصَّ الركن الخامس لأداء فريضة الحج وهذه الفريضة واجبة على المسلمين ما لم يعوقهم عائق من ضعف صحة أو قلة مال.

حيث كان الحج من أهم العوامل التي دفعت المسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة والانتقال، لذلك كانت رحلة يتحمس إلى أدائها كافة الناس بدون تمييز بين شرائح المجتمع، ونتيجة ذلك فقد اكتسبت رحلة الحج صفة تراثية تحكيها لنا كتب التاريخ ومذكرات الرحالة تفاصيلها.[2]

---

[1]- نواف عبد العزيز الحجمة: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن للهجرة (12- 14)م، دار السويدي، دار الأهلية، أبوظبي، الأردن، ط1، 2008م، ص24.

[2]- حسين محمد فهيم، المرجع السابق، ص80.

وقد قام المسلمون المغاربة بتلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس ينفقون في سبيلها كل مرتخص وغالٍ، وقبل أن يحين موسم الحج بشهور تتشوق القلوب منطلقة إلى البيت الحرام.[1]

كما يعد الحج أعظم بواعث الرحلات فألوف المسلمين يتوجهون كل عام من شتى أنحاء العالم الإسلامي إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الحجاج عند عودتهم إلى الديار يخبرونهم عن الطرق التي سلكوها والأحداث التي صادفوها، ومنهم من يدوّن مشاهداته فيصف رحلاته لتكون لغيره وصفا لمن لم يكن متواجدا هناك ولتلفت النظر لأولي الأمر لتنبيههم على ما يجب إصلاحه.[2]

بالإضافة إلى أداء فريضة الحج كان هناك دافعا آخر شجع الرحالة المغاربة على جوب الأقطار الإسلامية وهو الرحلة الصوفية التي تدخل ضمن الدافع الديني، هذا الأخير الذي جذب الكثير من الرحالة واستقطب العديد منهم، حيث أسهمت الطرق الصوفية في تغذية العوامل التي لها علاقة بالرحلة وعدَّت سببا في الرحلة الحجية.[3]

وقد يكون من الدوافع الدينية للرحلة أيضا الاتصال بالشيوخ من أجل التبرك بلقائهم والفوز بدعواتهم وأكبر مثال لذلك ابن بطوطة الذي كان من دوافع رحلته بعد أداء فريضة الحج وأيضا التبرك بولي صالح ذُكر له أو متعبّد منقطع في زاوية أو خلوة.[4]

وأيضا الجهاد في سبيل الله من الدافع الديني الذي جعل من المغاربة يتوجهون نحو المشرق فيؤدون فريضة الحج، ولكن قصدهم الحقيقي الجهاد في سبيل الله خاصة فترة الحروب الصليبية.[5]

---

[1]– فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002م، ص33.

[2]– زكي محمد حسن: الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، (د، ط)، 1402هـ/ 1981م، ص08.

[3]– ابن قنفذ القسنطيني ابن العباس أحمد الخطيب: أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وإدلوف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، (د، ط)، 1965م، ص ص67– 103.

[4]– ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار لحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987م، ج1، ص288.

[5]– نواف عبد العزيز الحجمة، المرجع السابق، ص28.

2- الدافع العلمي:

من أجل الدافع العلمي لزم رحلات منذ البدايات الأولى لانتشار الإسلام ذلك أن الرحلة في طلب العلم من الممارسات التي أكد عليها الدين وطالب بها أفراده، فقد كان من المعتقد أن اكتمال العلم لا يتم إلا بالرحلة إليه وهذا ما أكده ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: "في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم...فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم...".[1]

وإذا كانت الرحلة ذات دافعين في نفس الوقت؛ أي ترافق الدافع الديني عندهم مع دافعهم العلمي يجعل من الرحلة الحجازية لدى المغاربة أكثر تنظيما وأجل قدرا وأغزر نفعا.

والملاحظ أيضا حرص مدوني الرحلات الحجازية من المغاربة على تسجيل أخبار الركب وسرد وقائعه مع عناية خاصة بذكر أخبار العلم والعلماء والأدب والأدباء، إذ كان لقاء الشيوخ بغرض الأخذ عنهم والسماع منهم هو الهدف الثاني الذي كانوا يرومون تحقيقه بعد أداء فريضة الحج، حيث كان علماء بلاد المغرب يجالسون علماء المشرق الذين وفدوا إلى الحج لنفس الغرض فيتشاورون في أمور دينهم ودنياهم في العلوم الدينية المختلفة كالفقه والحديث.[2]

فالحج أكبر وأعظم مؤسسة علمية منحها الإسلام للمسلمين عامة وللمغاربة خاصة حيث كان مرجعية مهمة لثقافتهم وعلمهم لأن المغاربة كانوا على مذهب الإمام مالك وهذا المذهب هو مذهب أهل المدينة[3] ،فالرحلة الحجازية أخذت منهجاً علمياً وذلك بظهورها في رحلة أبي

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص744.

[2]- بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص252.

[3]- عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، (د، ط)، 2005م، ج1، ص252.

محمد العبدري وذلك بأخذه الصدارة في التعريف بأساتذته بالعلماء الذين التقى بهم ووصفه المكتبات ودور العلم التي زارها،[1] وأيضا رحلة ابن رشيد والبلوي وابن خلدون وصار من المألوف اتجاه المغاربة في أغلب الأحوال إلى المشرق للتتلمذ والأخذ عن العلماء لأنهم يعدون المشرق منبع العلوم والمعرفة بشتى أنواعها وهذا الذي ترك في نفوس المشرقيين أثر في لقاء المغاربة والتحاور معهم،[2] وهذا كله ظهر في الرحلة الحجازية ودافعها العلمي.[3]

3- الدافع التجاري:

لم تقتصر دوافع الرحلة على التزويد بالعلم ومقابلة الشيوخ من العلماء فقط. كما لم تقتصر على أداء فريضة الحج بل كانت لها دوافع تجارية إذ كانت التجارة أمرًا ضروريًا يقتضيه الرحالة للقيام بالرحلة وأعبائها والسفر[4] وهي التي يتخذها المغاربة كهدف ثالث، حيث يستفيد الرحالة من رحلتهم أثناء الطريق لأداء فريضة الحج فيقومون بالتبادل التجاري ويعقدون أسواق في حواضر الدول الإسلامية كالعراق والشام ومصر.[5]

حيث يعد المغرب موقعًا مهماً للطرق التجارية الكبرى مما أدى إلى السفر والتنقل من مكان لآخر وربط علاقات تجارية مع المشرق خاصة كالحجاز فنجد أهل مكة المكرمة اتجهت أنظارهم للتجارة بحكم موقعها المهم والبارز منذ أقدم العصور.[6]

---

[1]- حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ص14.

[2]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص28.

[3]- مولاي بالخميس: الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ط2، 1981م، ص10.

[4]- حسين محمد فهيم: المرجع السابق، ص80.

[5]- عواطف نواب: المرجع السابق، ص30.

[6]- حسين محمد فهيم: المرجع السابق، ص ص80، 81.

كما قال الله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1]. فهذا جعلها منطلق التجارة وغدت ذات مركز مالي هام في الحجاز، وسوقاً للتبادل التجاري وهذا ما جعل الرحالة المغاربة يرتحلون قبل الحج بفترة من أجل المشاركة في هذه الأسواق ولتأكيد ما تضمنه هذا الوصف من الوضع التجاري المزدهر بمكة المكرمة زيارة ابن جبير للحجاز حيث يصفها على أنها ملتقى الحجاج والتجار في قوله: "وذلك أن أفئدة الناس تهوى إليها من الأصقاع النائية والأقطار الشاحطة فالطريق إليها ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة والثمرات تجيئ إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعما وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر..."[2]

فالرحلة الحجازية كان من أهدافها التبادل التجاري وزيارة الأسواق المتعددة في الشرق الإسلامي وفي المحطات الهامة أثناء الطريق لأداء فريضة الحج.

لكن قلة المصادر في هذا الشأن جعلت الدوافع الأخرى – الدينة والعلمية– أكثر أهمية لتوفر المادة المتناولة لها.

4– الدافع السياسي:

والذي في مضمونه يخص مهام السفارة والعلاقات السياسية بحيث السفارة ساهمت في تكوين علاقات سياسية بين الدول في العالم الإسلامي وهذا كله جعل فريضة الحج سببا في تطوير هذه العلاقات وتمثلت السفارة والتي يعد مضمونها مسؤولية وتكليف ووضع تعليمات

[1]– القرآن الكريم: سورة إبراهيم، الآية 37.

[2]– ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، س)، ص ص96، 97.

موضع التنفيذ أكثر من أي شيء آخر وظهر هذا الشكل في الرحلات الحجازية بعد تجاوزها هدفها الرئيسي ألا وهو أداء فريضة الحج.[1]

وهكذا كانت رحلة السفارة واحدة من أكثر الرحلات تخصصا في مهامها الوظيفية والتي تلبي حاجة تكليف رسمي في الدولة وتكون معينة بأمر من أمور الدولة أو التكليف في شأن من شؤون نظام الحكم المباشر أو غير المباشر.[2]

ولطالما كان للرحلة الحجازية دافع في تكوين علاقات مع المشرق الإسلامي ودليل ذلك نشاطات السفارة المغربية مع المشرق في عهد الدولة المرينية فالقائمون بالأمر كانوا يغتنمون الركب الحجازية فيبعثون في صحبته سفراء لإيصال الرسائل والهدايا والمصاحف سواء إلى المساجد المشهورة في المشرق أو إلى الحرمين المكي والمدني ومن أمثلة ذلك قيام السلطان أبي يوسف يعقوب المريني بإرسال مصحف إلى ملك الحجاز أبو نمي[3] يعد عزم أهل المغرب على أداء فريضة الحج في سنة 703هـ.

ومنه نستنتج أن الدافع السياسي كان له دور مهم في الرحلة الحجازية وذلك بتطوير العلاقات السياسية بين دول المغرب الإسلامي وتكوين صلحاء لجانبهم.

---

[1]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص28.

[2]– صالح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1999م، ص94.

[3]– أبو نمي الأول: وهو محمد بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استبد بحكم مكة لم يعين وليا للعهد من بعده فتتنافس بينه على الحكم من بعده فحكم مكة إلى أن توفي...للمزيد ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1992م، ص401.

ثانيا: المراكز العلمية في بلاد المشرق

إن الرحلات الحجازية إلى الأماكن المقدسة والمراكز العلمية الأخرى في المشرق هدف يسعى إليه كل شخص، لأن الرحلة إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة[1] أو إلى المسجد النبوي في المدينة وكذلك المراكز العلمية في مصر والشام والعراق وغيرها جعلها تستأثر باهتمام شريحة كبيرة جدا من الرحالة المغاربة الذين يتطلعون إلى زيارة هذه المراكز العلمية.

1- مكة المكرمة:

تعتبر مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية وقبلة المسلمين وهوى أفئدتهم ومحط أنظارهم، ومجرد ذكرها يشد أنظارهم ويأسر تطلعاتهم وشغفهم،[2] كما نجد الرحلات المغربية إلى مكة المكرمة تكتسب خصوصية متميزة لكونها العاصمة المقدسة التي لها منزلة خاصة عند جميع المسلمين سواء في المغرب أو المشرق، فيتشوق كل مسلم إلى شد الرحال إليها.[3]

وفي مكة المسجد الحرام وهو دون شك في جميع العصور الإسلامية جامعة فريدة ومحل جلب علماء المسلمين وطلبة العلم وفيه تدرس العلوم المختلفة دون أي قيود وعوائق أو حتى تكاليف على المتعلمين، وفيه تزدهر الحياة العلمية، ووصل المسجد الحرام بأهميته إلى مركز للفتيا المصدرة للعالم الإسلامي، كما أجمع في وقت من الأوقات على مكانة كبيرة

---

[1]- مكة المكرمة من المدن المقدسة عند المسلمين، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في العديد من السور، أطلق عليها اسم بكة واسم أم القرى، وهي عاصمة الحجاز وإحدى أهم المدن في المملكة الشريفة التي تتوسط المسجد الحرام ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام...، وسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة وإذا وجدتم فيها شيء وقيل بكة اسم لبطن مكة لأنهم كانوا يتبركون فيها أي يزحموان... ينظر: عبد المنعم الحميري: الروض المعطل في خبر الأقطار، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ- 1977م، ص150، ابن جبير: المصدر السابق، ص ص87- 90.

[2]- عمر بن يحي محمد: مكة المكرمة أهمية الدور والمكان، المجلة العربية، العدد العاشر، صفر 1427هـ، مارس 2006م، الرياض، ص11.

[3]- إبراهيم بن عبد الله السماوي: ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات الحجازية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ، ص153.

نتيجة شهرته وفضل علمائه، كما انتشرت كتب علماء الحرم ودروسهم في أصقاع المعمورة عن طريق طلبة العلم، إضافة إلى ذلك تنوع الكتب المتداولة في مكة المكرمة، وذلك لما ورد في كتب الرحلات مما يزيد من تأكيد أهمية هذا المكان ومركزه العلمي.[1]

ونظرًا لتلك الأهمية فقد زارها وكتب عنها الكثير من الجغرافيين والرحالة المغاربة والمؤرخين المسلمين الذين دونوا مشاهداتهم ومن هؤلاء نجد ابن الفقيه في كتابه: "مختصر كتاب البلدان" والأزرقي في كتابه "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" وابن جبير وابن بطوطة وابن حوقل وغيرهم من الرحالة.[2]

ومنه فهي تعد مركزاً علمياً هاماً لما تحتويه من آثار حضارية تشهد لها البشرية ومعارف ثقافية ودينية، ومن العلماء الذين تتلمذوا علي يدهم المغاربة في مكة المكرمة نذكر: أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب الدمشقي[3] ونجم الدين محمد بن محيي الدين الطبري (730هـ)[4]، وجمال الدين محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ الأقشهري (ت 739هـ)[5].

---

[1]– إبراهيم بن عبد الله السماوي: المرجع السابق، ص150.

[2]– حسان حلاق: مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م، ص7.

[3]– كان ناظما للشعر، حسن الخط، عرف عنه بأنه ثقة فاضل عالم زاهد وقد جاور بمكة نحو 40 سنة توفي سنة 686هـ ودفن بالبقيع، المزيد ينظر: نواف عبد العزيز الحجمة، المرجع السابق، ص709.

[4]– مفتي مكة المكرمة وقاضيها، تفقه وأفتى وتولى القضاء بعد أبيه فترة تزيد عن 35سنة، كان شيخا فاضلا مشهور بعلمه في الفقه مقصود الفتوى، كان إمامًا للشافعية تتلمذ على يده ابن بطوطة. نفسه،ص710.

[5]– يكنى أبي الفضل ويلقب بالعالم، يعد من فضلاء مكة وفقهائها الثقاف، لقب ابن رشيد وأبي عليه مادحًا....، نفسه، ص709.

2- المدينة المنورة:

تعتبر المدينة المنورة[1] ثاني أهم مركز علمي بالنسبة للرحالة عامة والمغاربة خاصة، وذلك لكونها حاضرة ثقافية تزخر بمراكز علمية هامة ونذكر هنا على سبيل المثال المسجد النبوي الشريف[2] والذي يحتل المرتبة الثانية بعد المسجد الحرام ذلك لكونه مركزًا علميا هاما يستقطب المغاربة من حجاج ورحالة وعلماء بالإضافة إلى طلبة العلم.[3]

كما كانت المدينة المنورة منتهى آمال القاصدين من الرحالة المغاربة لما تحتويه على عدد كبير من العلماء والفقهاء ما لا يحصيه العدد وكان هؤلاء يعقدون مجالس للخاصة والعامة ويوجد من بينهم نساء عالمَات أيضا[4] ومن بين الذين تتلمذ على يدهم الرحالة المغاربة في المدينة المنورة نذكر أبو محمد عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (ت 768هـ)[5] وأيضا أم الخير فاطمة بنت إبراهيم بن محمود البعلبكي المعروف بالبطائحي.[6]

---

[1]- المدينة اسم غلب على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ وهي يثرب... للمزيد أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص808.

[2]- هو مسجد حفيل البنيان وكان دارًا لعبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم ذكره ومولده صلى الله عليه وسلم، صفته صهريج صغير سعته ثلاثة أشبار وفي وسطه رخامة خضراء سعتها ثلثا شبر مطوقة بالفضة فتكون سعتها مع الفضة المتصلة بها شبرًا.. وهو شرقي الكعبة متصل بصفح الجبل ويشرف عليه بمقربة منه جبل أبي قبيش وعلى مقربة منه أيضا مسجد...للمزيد أنظر: ابن كثير: المصدر السابق، ص141..

[3]- عواطف نواب: المرجع السابق، ص258. ابن الجبير: المصدر السابق، ص175.

[4]- أحمد حدادي: رحلة ابن رشيد السبتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغاربية، (د، ط)، 1424هـ، 2003م، ص ص37، 38.

[5]- تتلمذ على يد علماء عدن وحفظ القرآن، وجح صغيرا، وساح في الأرض تنقلا بين الشام والقدس والخليل ومصر مواظبا مواظبا على الحج، توفي بمكة. للمزيد أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة، المرجع السابق، ص713.

[6]- أم الخير وصفها ابن رشيد بالشيخة الصالحة الكاتبة وكانت دينية متجندة مسندة ولدت سنة 625هـ لقبها ابن رشيد في في المسجد النبوي الشريف، وكتب خط ما بالإجازة له ولينه وكانت تسدل جلبا بها على وجهها حياء وصوتا... للمزيد أنظر: أحمد حدادي: المرجع السابق، ص ص408، 409.

ومنه نستنتج أن المدينة المنورة قد حظيت بأهمية علمية كبيرة وذلك يعود إلى تعدد المراكز العلمية الموجودة فيها سواء كانت دينية و حضارية (المسجد النبوي) وعدد العلماء والمؤلفات وهذا ما جعلها مقصدًا لطلبة العلم خاصة العلماء والفقهاء وهناك من استوطن هذه المدينة أمثال أبي إسحاق الفأسي[1]، وهناك من بقى فيها سنوات عديدة ثم عاد أمثال الرحالة ابن بطوطة الذي مكث في المدينة المنورة ثلاث سنوات.

3- بيت المقدس: يعد بيت المقدس منارة من منارات التاريخ الإيماني للبشرية جمعاء، شهدت مولد عديد الانبياء لتفيض على الأرض سلامًا ورحمة، منذ بعثت رسل الله ليخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان فبيت المقدس[2]، يحتضن المسجد الأقصى الذي يعتبر من أهم المراكز العلمية، كما يعد أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

ارتبط تاريخ المغاربة ببيت المقدس منذ الأيام الأولى التي اعتنقوا فيها الإسلام، لهذا فقد شدتهم اليه نفس الهدف الذي شهدته مكة والمدينة المنورة، لذا كان جل الحجاج يمرون بفلسطين عند رجوعهم من الحج لينعموا برؤية مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وينتفعوا بنفس الأجر في الرحلة إلى ثالث الحرمين.

ولقد زار هذا المسجد من علماء بلاد المغرب الرحالة الشهير البلوي الذي تكلم عن المكانة العلمية والثقافية لهذا المسجد حيث بقي طيلة شهر رمضان المبارك في القدس الشريف، وقد ظل في المسجد الأقصى معتكفا ملتزما بالذكر والتسبيح والاستغفار وكانت

---

[1]- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحي الفأسي المنسوب إلى مدينة فاس والمقيم بالمدينة المنورة كان شيخا صالحا فقيها مالكيا معروف بالدين والفضل التقى به ابن رشيد السيني بالمدينة المنورة، والذي قرأ عليه بداره جميع ثلاثيات البخاري...للمزيد أنظر: ابن رشيد الفهري السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر: ملك العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م، ج5، ص37.

[2]- المقدس: يسمى بإيليا وكوره إيليا من فلسطين والتقديس التطهير والأرض المقدسة 40 ميلا في مثلها وأول من بني بيت المقدس وأوى موضعه يعقوب وقبل داود عليه السلام...للمزيد ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص851.

عادته حضور مجالس التدريس من بعض الأئمة الأعلام ليأخذ منهم مختلف العلوم الدينية إما بإسماع منهم أو نقل الخطة وقراءة اللفظ وإثبات السند في برامج روايته،[1] وأيضا العمري أكد ذلك في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، حيث يقول: "وبالقدس مدارس وخنادق، وربط، وزوايا، وترب وللمسجد الأقصى بها وقوف كبيرة جارية على مصالحه والمؤذنين به، وجماعة من العلماء والقراءة...".[2] ونذكر أشهر العلماء الذين تتلمذوا على أيديهم المغاربة في بيت المقدس أبو الفرج قدامة المقدسي (ت732هـ)[3]. أبو الذكاء القرشي (ت 687هـ)[4] أبو الحسن المقدسي (ت 699هـ)[5].

4- مصر:

كانت لمصر[6] مكانة علمية في ذهن المغاربة عامة والعلماء والفقهاء خاصة منالرحالة، ومما يؤكد ذلك حديث الرحالة ابن خلدون: "فانتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام

---

[1]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص664.

[2]- ابن العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، (د، د)، (د، ب)، (د، ط)، (د، س)، ص210.

[3]- هو عز الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن إبراهيم بن عبد الله بن قداسة المقدسي الحنبلي، التقى به وتعلم على يده كان فقيه زادا قدوة وعالما متواضعا انظر احمد حدادي: المرجع السابق،ص400.

[4]- هو عبد المنهم بن يحي بن إبراهيم القرشي الزهري المعوفي النبلسي الشافعي، كان مفتيا ومفسرا وفقيها فاضلا وخطيبا بالمسجد الأقصى. نفسه، ص400.

[5]- هو أبو الحسن علي بن احمد علي بن احمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي قيم جامع حنبل كان صالحا كثير التلاوة. نفسه، ص402.

[6]- **مصر**: هي الفسطاس وهي خاصة بلاد مصر وفي سنة تسع عشر فتح عمر بن العاص مصر والإسكندرية وجاء في الأثر من أخرب خزائن الله فعليه اللعنة وخزائن الله هي مصر، وقالوا مكتوبة في التوراة: مصر خزائن الله فمن أرادها بسوء قصمه الله، وبمصر من المنافع والمصانع والبساتين والغرف المشرقة على النيل والقصور ما يبهج العيون... أنظر: ابي القاسم ابن حوقل النصيبي. صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 2ط، 1938، ق1، ص122.اليعقوبي: البلدان، (د، د)، (د، ب)، (د، ط)، (د، س)، ص57.

وكرسي الملك، تلوح القصور والأواوين في جوه، وتزهر الخوانق والمدارس والكوكب بأفقه وتضيء البدور والكواكب من علمائه...".[1]

هذا الذي يفسر مكانة ووزن الحواضر العلمية في مصر وما تحتويه من معالم دينية حضارية أثرية ساهمت في تطور الذهنية المغاربية، ومن المعالم الأثرية الدينية العلمية في مصر نجد القرافة[2] التي لها مكانة دينية وروحية ليس في نفوس المصريين فحسب، بل في نفوس المسلمين عامة، لما تتضمنه من قبور لآل البيت الكرام والصالحين وغيرهم ولذلك كان يقصدها العامة لزيارة والتبرك، لكن الذي يهمنا ما قاله الرحالة المغاربة والأندلسيين عند زيارتهم لها وتسجيل كل ما يشهدونه فيها من مشاهد روحية وأضرحة،[3]حيث يقول عنها الرحالة ابن جبير "هي إحدى عجائب الدنيا لما تحتويه عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليه وبها آل البيت رضوان الله عليهم والصحابة والتابعين العلماء...".[4]

كما أن بها مسجد الإمام الشافعي رضي الله عنه والذي بجانبه مدرسة لا يوجد مثلها في البلاد عامة وذلك في مساحتها ولا طريقة بنيانها، حتى أنه من يطوف بها يخيل له أنه في بلد مستقل بذاته لما لها من بهارة ومكانة، كما وإن لمصر علماء نذكر منهم الذي حدثنا عنهم ابن فرحون في كتابه الديباج المذهب نجد: أبو الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري المنفلوطي ابن دقيق العبد (ت 702هـ)[5] الذي وصفه ابن رشيد بالإمام الأوحد العالم العلامة المجتهد مفتي

---

[1]– ابن خلدون: العبرو ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، (د، ب)، (د، ط)، (د، س)، ج7، ص649.

[2]– القرافة أصل تسميتها من قبيلة المغافر، يقال لهم بنو قرافة الثاني، وذكر جامع القرافة الذي عرفه فما بعد بجامع الأولياء، وكان الناس يحبون هذا الموضع لما يحتويه من مرافق اجتماعية... للمزيد أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص634.

[3]– نفسه، ص635.

[4]– ابن جبير: المصدر السابق، ص22.

[5]– هو محمد أبو الفتح بن أبي الحسن علي بن أبي عطاء وهب ابن أبي السمع مطبع بن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي المنعوت بالتقي المعروف بتقي الدين دقيق العيد المالكي الشافعي من ذرية بهز بن حكيم القشيرة ولد في شعبان سنة =

مفتي الإسلام والذي التقى به بالمدرسة الصالحية بالقاهرة صدفة، كما تكرر لقاؤه به في المدرسة الفاضلية والمدرسة الكاملة، وكذلك التقى به الرحالة العبدري والذي وصفه على أنه التقى به والذي وجد فيه علم يحق له اللقاء وله بحر من العلم لا تكدره الدلاء.[1]

وكذلك أبو الحسن بن أبي الكرم (ت710هـ)[2]، وأيضا قطب الدين القسطلاني[3] من العلماء الذين التقى بهم ابن رشيد في الديار المصرية وسمع عليه بعض الأحاديث والإجازة.[4]

كما وكان في مصر عدة جوامع لها دور ثقافي مهم في تاريخ الرحالة المغاربة والتي تعد مرجعاً ثقافياً وعلمياً نذكر منها جامع عمر بن العاص[5] بالفسطاط وصفه ابن بطوطة

= 625هـ، تفرد في معرفة العلوم بزمانه والرسوخ فيه كان معظم في النفوس، اشتغل بمذهب مالك وعلم الأصول والعربية وسائر الفنون رحل إلى الحجاز والشام ومصر.. من تألفيه كتاب الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث الصحاح وله ديوان خطب وله أربعون حديثا.. توفي سنة 702هـ بمصر ودفن بالقرافة. انظر ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي ابو انور، دار التراث، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص318.

[1]– محمد العبدري: الرحلة المغاربية، تق: سعد بوقلاقة، منشورات بدنة، الجزائر، (د، ط)، 2007م، ج2، ص139.

[2]– هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن ضياء الدين أبي الفرج عيسى بن سليمان بن رمضان بن أبي ألكوم الثعلبي وهو الشيخ القاضي الصادر الرئيس صاحب ديوان الأحباس بالديار المصرية، ولد سنة 613هـ، وتوفي سنة 710هـ. أنظر نواف عبد العزيز الحجمة، المرجع السابق، ص714.

[3]– هو قطب الدين أبو بكر محمد بن أبي العباس أحمد القسطلاني ولد سنة 614هـ، هو الشيخ المحدث الصوفي والأديب المصنف المفتي المشهور، درس في المدرسة الكاملية ومن مؤلفاته ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة، له رحلة إلى مكة المكرمة وسمع على عديد الشيوخ وهناك لبس خرقة الصوفية... أنظر: ابن رشيد السبتي: المصدر السابق، ج5، ص305.

[4]– الإجازة: هي صورة لشهادة علمية، كما وتمنح اليوم والفرق بينهما أن الإجازة تمنح بصورة فردية عند سماع كتاب أو رواية حديث ولم تظهر الإجازة إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري... للمزيد أنظر: بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص250.

[5]– مسجد أنشأه عمر بن العاص مسجده في الفسطاط بعد فتح مصر سنة 642م وأعيد بناؤه عدة مرات ففي سنة 564هـ لحق ضررا بالمسجد بعد اندلاع حريق هائل في الفسطاط، ثم أعيد ترميمه سنة 666هـ... أنظر: محمود أحمد: جامع عمر بن العاص، المطبعة الأميرية بولاية القاهرة، (د، ط)، 1938م، ص4.

بأنه الجامع الذي زاره سنة 725هـ يذكر أنه مسجد شريف كبير القدر تقام فيه الجمعة وأن يشرقه الزاوية حيث كان يدرس الإمام أبو عبد الله الشافعي[1] وكذلك الرحالة البلوي فقد أفرط في وصفه لجامع عمر على الجانب الفني العمراني الذي أنبهر به.[2]

ونجد الجامع الأزهر الذي كانت حلقات التدريس فيه كثيرة فنجد ابن بطوطة الذي سجل لقاؤه بالشيخ الصوفي قوام الدين الكرماني وكذلك ابن خلدون جلس للتدريس بالجامع الأزهر، حيث إنهال عليه طلبة العلم للأخذ عنه.[3]

وكذلك جامع أحمد بن هولون بالقطائع[4] الذي ظل مستمرا في تقديم أنشطته التعليمية للغرباء المغاربة وطلبة العلم والذي تدرس به المذاهب الفقهية الأربعة وكذلك الحديث والطب إلى جانب تعليم الأيتام.

بالإضافة إلى هذه المراكز يوجد مراكز أخرى في المشرق كانت لها مكانة علمية كبيرة جذبت الرحالة إليها وكانت محل استقطاب كالعراق والشام ودمشق... وغيرها فإن ابن جبير مثلا كان يواظب على حضور المجالس العلمية والوعظية ببغداد.[5] وابن بطوطة انشغل هو كذلك في دمشق بمجالس العلم والخطب الدينية وحرص على تتبع ما بها من مدارس علمية[6] علمية[6]

---

[1]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص203.

[2]– البلوي: التاج المفرق، (د، ب)، (د، د)، (د، ط)، (د، س)، ج1، ص215.

[3]– ابن خلدون: العبر، ج7، ص266.

[4]– يقع هذا المسجد الكبير في حي السيدة زينب في القسم الجنوبي من القاهرة، وكان أحمد بن طولون قد اختار هذا المكان ليجعله مقرا له ومعسكر بجنده وشرع في بناء المسجد سنة 265هـ وانتهى تشديده بعد عامين، وكان تخطيطه شبيها بطراز العمارة والزخرفة... أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص667.

[5]– ابن جبير: المصدر السابق، ص195.

[6]– حسن مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، 2003م، ص51.

لكل من الشافعية[1] والحنفية[2] والمالكية[3].

وأيضا ابن رشيد السبتي فعل الأمر نفسه في دمشق وحرص على تلقي العلم من كبار العلماء والفقهاء ومن هنا ونلاحظ على العموم أن المراكز العلمية في المشرق كانت مقصد الرحالة المغاربة ويعود ذلك لما تتضمنه من مجالس علمية ومؤسسات ثقافية وكبار العلماء والفقهاء في شتى العلوم، التي كانت وراء الدافع ورغبة الكثير من الرحالة المغاربة أمثال ابن بطوطة وابن جبير والعبدري وابن رشيد السبتي والبلوي وغيرهم.[4]

ثالثا: نماذج من ركب الحجيج المغاربي (قوافل)

كانت هناك عدة قوافل مغاربية تصل إلى مكة المكرمة كل عام، حيث تمر هذه القوافل بأهم المراكز العلمية في المشرق الإسلامي[5]، منها ركب الحجيج المغاربية ومن أمثلة ذلك نذكر:

1- الركب الصالحي: ويعود الفضل في تأسيسه إلى الإمام الشهير أبي محمد صالح الماجري (ت 631هـ)، وهدف هذا الركب هو الدعوة الى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام، ويدعى بالركب الصالحي نسبة إلى مؤسسه وقد كان طريق هذا الركب

---

[1]- الشافعية: نسبة للإمام الشافعي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، ولد في غزة، وتوفي في مصر عام 204هـ.. أنظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص666.

[2]- مؤسسها أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وهو فقيه أهل العراق العابد الروع السخي، ولد سنة 80هـ، حيث كان من المتفوقين، وهذا المذهب كان أسبق المذاهب انتشارًا في بلاد المغرب، يعتبر المذهب الرسمي للدولة العباسية. ينظر: أبو الحافظ أبي عبد الله محمد عثمان، مناقب الإمام أبو حنيفة، تح: محمد زاهد الكوثري وآخرون، تحية المعارف النعمانية، بيروت، لبنان، ط1، (د، س)، ص13.

[3]- نسبة لمؤسسها الإمام مالك وهو مذهب أهل المدينة، بعد الإمام مالك جهابذة الإعلام الذين أعنى العلماء قديما وحديثا بحياته. للمزيد ينظر: محمد مختار الماسي، المذهب المالكي، مركز زايد، (د، ط)، 2002م، ص27.

[4]- الحسن الشاهدي: أدب الرحلة في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، (د، ط)، 1985م، ج1، ص89.

[5]- الركب هي عبارة عن جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له عن شيء. ينظر: نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص531.

ينطلق من آسفي إلى الحجاز وقد أولى مؤسسه عناية خاصة به فأسس الرباطات العديدة ليزورها الحاج المغربي في ذهابه وإيابه من آسفي إلى الحجاز، والطريق التي سلكها هي التي سلكها الرحالة العبدري.[1]

2- الركب الفاسي: كان يخرج من فاس وهو الغالب في بعض الأيام كان يخرج من تلمسان حيث خرجت أول قافلة للحجاج المغاربة من تلمسان سنة (738هـ- 1337م) في عهد الدولة المرينية وكانت تحمل كبار رجال الدولة متجهة نحو الحجاز لأداء فريضة الحج،[2] ويرجع تأسيسه إلى يوسف يعقوب المريني[3] عام 703هـ وبعثه إلى الأراضي المقدسة، وقد بالغ هذا الأخير بالاحتفال بهذه القافلة إظهارًا لمكانة الدولة المرينية في بلاد المغرب.[4]

وقد مرّ هذا الركب بنفس طريق الركب الصالحي السابق الذكر وأصبح هو الركب الرسمي، الأمر الذي جعله يحظى بمكانة كبيرة ويضاهي بها ركب مصر والشام والعراق... وغيرهم.[5]

اهتم المغاربة كثيرًا بهذا الركب ويظهر ذلك بالإعانات المادية الوفيرة التي كان يقدمها السلطان من أجل إعداده وما أمر به السلطان المولى الرشيد بحفر آبار في طريق الحجيج المغاربة ليسقي به موكب الحجيج في ذهابهم وإيابهم ومن شارات هذا الركب الرايات التي

---

[1]- محمد المنوني: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطون، (د ط)، 1953م، ص7.

[2]- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني، دار القلم، الكويت، (ط1)، 1405هـ- 1955م، ص207.

[3]- كان السلطان أبو يوسف أبيض حسن الفذ مليح الوجه أحني الأنف هيبا لا يكاد أحد يبدأه بالكلام جواد مشفقا على الرعية متفقدًا لا حوالها شجاعًا مهيبا ذا عزيمة وهو أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه رونق الحضارة وبها الملك بويع سنة 656هـ إلى 703هـ. للمزيد ينظر: الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي: الاستقصاء أخبار دول المغرب الأقصى، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1954م، ج3، ص ص87- 91.

[4]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص04.

[5]- محمد المنوني: المصدر السابق، ص09.

يحملها الرجال وتميزهم عن باقي الركب وقت النهوض والجلوس،[1] وأخرج السلطان المريني مع القافلة فرقة تزيد على 500 فارس لحمايتهم من الأخطار، وعين قاضي يدبر أمر القافلة ومخاطبته لضابط الديار المصرية ليستوطئه بحجاج المغرب من أصل مملكته.[2]

3- الركب المراكشي: كان ينطلق من مراكش وجهته مكة المكرمة وكان يلتحق بها جل الحجاج من سائر مدن البلاد المغربية والتي تحط في مصر ومنه إلى مكة المكرمة.[3]

وبعد خروج هذا الركب من بلاد المغرب تتجه نحو مصر والشام والعراق وسائر المراكز المتواجدة في المشرق، حيث كانت أكثر قوافل الحج على العموم انتظاماً وترتيباً وأمناً هي التي تخرج من مصر والشام والعراق، إن معظم الحجاج يصلون إلى البقاع المقدسة عن طريق مصر خصوصاً أولئك الذين يأتون إليها من المغرب والأندلس، وبعدها يصلون إلى الشام ليلتحق بهم نبلاء الترك والقوقاز... ليلتقوا في الشمال ثم يسافرون مجتمعين إلى الحجاز ومما نلاحظه أن موضع الركب المغاربة كان لا يخرج إلى مكة المكرمة إلا بعد التوقف في هذه المحطات أو المراكز: مصر والشام والعراق.[4]

رابعا: طرق ومسالك رحلات الحج

كانت معظم قوافل الحجيج المغربي تنطلق من حواضر بلاد المغرب الإسلامي، سواء المغرب الأقصى أو الأدنى أو الأوسط، متجهة نحو الحجاز، فكانت تمر بالطريق بقصد تحقيق هدف علمي أو تجاري...إلخ، ومنه قسمت طرق الرحلة إلى نوعين بري وبحري.

---

[1]- محمد المنوني: المصدر السابق، ص14.

[2]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص204.

[3]- محمد المنوني: المصدر السابق، ص ص15، 16.

[4]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص494.

1- الطريق البري:

تنطلق القوافل من الحواضر المغاربية متجهة نحو مصر، حيث كان هناك طريقان يسلكهما الحجاج في هذه الفترة ومن أهم هاته الطرق هي:

- طريق من سجلماسة إلى بلاد مصر حيث يقدر الإدريسي مسافة هذا الطريق ثلاثة وثلاثون مرحلة[1] وسبعة أيام.[2]
- الطريق من برقة إلى مصر وهي الطريق الأكثر استعمالا من الطريق السابق الذكر بحيث يقدر الإدريسي مسافة من برقة إلى الإسكندرية إحدى وعشرين مرحلة وهو طريق مستقيم خالي من الالتواءات لكونه طريقا صحراويا خاليا من الحواجز الطبيعية كالتضاريس والجبال، "ومن برقة إلى الإسكندرية إحدى وعشرين مرحلة وهي من الأميال[3] خمس مائة ميل وخمسون ميلًا...".[4]

ومنه تخرج القوافل بعد وصولها إلى مصر تتجه نحو بغداد ويقدر الطريق بينهما خمسمئة وسبعون فرسن، تكون ألف وسبعمئة وعشر أميال.

وهناك قوافل أخرى تأخذ الطريق من مصر إلى مدينة يثرب، تنطلق من مصر إلى الجب ثم إلى البويب... مرورًا بالعديد من المناطق إلى أن تصل مدينة يثرب.[5]

ويعتبر الرحالة ابن بطوطة من أوائل الرحالة الذين عبروا هذا الطريق، حيث يقول "سافرت من مسقط رأسي متجها نحو مصر... ثم سافرت إلى مدينة آشمون الرومان،... ومنها مررت إلى مصر ثم وصلت إلى مدينة مصر، ثم سرنا حتى وصلنا مدينة غزة، ثم

---

[1]- تقدر المرحلة في بلاد المغرب وبالخصوص في عهد الحفصيين ورثة الموحدين بـ30.000مترانظرنجاة باشا: التجارة في بلاد الإسلامي من القرن الرابع الى القرن الثامن من الهجري، منشورات الجامعة التونسية، 1979:ص95.

[2]- ابي عبد الله محمد بن محمدبن إدريس الحمودي المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، (د،ط)،2002م، ص295.

[3]- 1ميل= 1.609344 كم، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ميلhttps://ar.wikipedia.org/wiki

[4]- الحسن الوزان، وصف افريقية، تح، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص344.

[5]- الإدريسي: المصدر السابق، ص345.

اتجهت نحو الشام ومنه دخلنا الحرم الشريف، وانتهينا إلى المسجد الكريم ومنه إلى مكة المكرمة..."[1].

وهناك من عبروا عدة طرق أخرى منها طريق الكوفة والبصرة ودمشق وفلسطين الرابطة بينهم وبين المدينة المنورة.

كانت القوافل تنطلق من المغرب ثم مصر نحو هذه المناطق حيث قدرت المسافة بينهم وبين المدينة المنورة بالمسافة بين الكوفة إلى المدينة المنورة، نحو عشرين مرحلة وطريق البصرة إلى المدينة بقدر ثماني عشر مرحلة ويلتقيان مع بعضهم بقرب معدن النقرآ، ومن دمشق إلى المدينة،[2] ويلتقي الحجاج بالمدينة المنورة لتأدية زيارة الروضة، قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنه يتجهون نحو مكة إلى المسجد الحرام، حيث تقدر المسافة بينهما بنحو عشر مراحل.[3]

ونجد أيضا ابن بطوطة رحل مرة أخرى عن طريق الشام حيث خرج من المغرب متجها نحو مصر ثم إلى بلاد الشام وسلك طريق الحجاج إلى الأردن في قوله: "ثم ارتحلنا إلى معان وهو آخر الشام ونزلنا عقبة الصوان إلى الصحراء التي يقال فيها داخلها مفقود وخارجها مولود"[4].

وقد سارت القافلة التي كان الرحالة ابن بطوطة منبعها، حيث وصلت إلى بنوك ثم ساروا حتى وصلوا إلى بحر الحجر ثم رحل الركب وبعدها نزلوا بالوادي المعروف بالعطاس وفي عشية ذلك اليوم نزلوا بالبلد المقدس مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.[5]

---

[1]– فؤاد الخوري: مختصرات من تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار النهضة، (د، ط)، 2006م، ص ص6– 10.

[2]– الإدريسي: المصدر السابق، ص312.

[3]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص، ص87، 88.

[4]–ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1،ص17.

[5]– محمد بن حسن بن عقير موسى الشريف: الرحالات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة، دار الأندلس، الخضراء، السعودية، ط1، 2000م، مج1، ص228.

2-الطريق البحري:

بالإضافة إلى الطرق البرية كانت هناك طرق بحرية حيث كانت الركب، تنطلق من الموانئ المغربية على البحر الأبيض المتوسط وصولا إلى مصر، ومن مصر إلى عين شمس مرورًا بعدة مسالك إلى أن يصلوا بطن مكة المكرمة وتقدر المسافة بينهم وبين المدينة نحو ثلاثين مرحلة.[1]

يعتبر الرحالة ابن جبير من أوائل الرحالة الذين سلكوا هذا الطريق وذلك سنة 579هـ، وقد قطع هذه المسافة بين القاهرة والمدينة، حيث استغرق فيها مدة شهرين ونصف في أسوء حال وذلك مما واجهه من معاناة ومشقة أثناء الطريق.[2]

وهناك من ينطلق من مصر إلى فلسطين ثم إلى المدينة عن طريق الساحل وإلى أهل مصر وفلسطين طريقان إلى المدينة المنورة طريق بري ذكر سابقا وبحري يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة فيجتمع بهما أهل العراق وفلسطين ومصر،... وغيرها من الأقطار العربية متجهين نحو المدينة المنورة.[3]

خامسا: معيقات رحلات الحج

تعددت المعيقات والمشاكل التي كان يواجهها الحجاج المغاربة أثناء رحلتهم لأداء فريضة الحج، فتنوعت المتاعب منها من تسبب فيها الأشخاص، ومنها كانت الطبيعية سببها.

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص348.

[2]- ابن جبير: المصدر السابق، ص ص34- 45.

[3]- اليعقوبي: المصدر السابق، ص88.

1- المعيقات البشرية:

تعرض الحجاج المغاربة للعديد من الاعتداءات من قبل اللصوص وقطاع الطرق والسبب في ذلك تهاون الدول في مراقبة طرق الحجيج، خاصة في فترة الحروب والنزاعات السياسية، إذ تصبح المدن في هاته الفترة مهددة من طرف العصابات وقطاع الطرق، خاصة وأنها تعاني من أزمة بطالة وفقر.

وقد كان الأعراب مصدر قلق للحجاج، خاصة في الطريق بين مصر والحجاز[1] لذلك كانت القوافل المغاربية تتعرض للنهب والسرقة والتعدي في مصر، وهذا ما أكده العبدري في رحلته حيث يصف أهل المنطقة: "وما رأيته بالمغرب الإسلامي والأندلس على شكاسة أخلاقهم، وبأرض الشام والحجاز فريقا من الناس أرذل أخلاقا وأكثر لؤما وحسدا ومهانة نفوس... وأشد خيانة وسرقة وقساوة منهم"،[2] ثم يرجع يتكلم عن طبيعتهم مع الغريب في قوله: "وأجفى للغريب من أهل هذه المنطقة... فترى الشيوخ منهم يتهاوشون في الطرقات".[3]

بالإضافة إلى فرض المكوس والضرائب على الحجاج مما كان يعيقهم أثناء رحلتهم لأداء فريضة الحج، وما يؤكد ذلك قول ابن جبير: "فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استدائهما عنتا مجحفا يسامون فيها خطة حسن باهض...".[4]

ومن المعيقات التي كان الحجاج يتعرضون لها المعاملة السيئة لبعض القوافل المغربية في الحجاز، كرفع أسعار بعض السلع ومنعهم من الإقامة داخل الخيم القريبة من الحرم المكي والمدني وهذا ما جعل الحجاج إذا اتجهوا إلى أداء هذه الفريضة كانوا غالبا يأخذون

---

[1]- علي إبراهيم الكردي: أدب الرحلات في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د، ط)، 2013م، ص131.

[2]- محمد العبدري: المصدر السابق، ج1، ص30.

[3]- نفسه، ص31.

[4]- ابن جبير: المصدر السابق، ص ص39- 40.

سلاحهم في أيديهم وكأن الحرب تنتظرهم لزيارة بيت الله الحرام الذي أمن الله فيه حياة الإنسان والكائنات الحية الأخرى.

كما كان للأزمات السياسية دور في تأخر رحلات الحج التي تعد من المشاكل التي يتعرض لها الحاج المغربي في المغرب، نجد ما قامت به الدولة الحفصية اتجاه الدولة المرينية عندما قامت بتعطيل القوافل الحجية من السير.[1]

وإلى جانب هاته المعيقات كانت هناك محاكم تفتيش تقوم بها جماعة من الأشخاص داخل الركب المغاربي وكانت لها آثار سلبية حيث كانت تعتقل الرحل أثناء سيرهم ولقد تحدث عنها ابن جبير في رحلته حيث يقول: "ومن أشنع ما شهدنا من ذلك خروج أعوان الزكاة في أيديهم المسال الطويل ذات الأنصبة فيصعدون إلى المرتب اكتشاف لما فيها ولا يتركون عزارة إلا ويتخللونها بذلك المسال اللغوية على الرغم من أن تلك العزار لا تحتوي إلى على بعض الزاد وقليل من المال...".[2]

2- المعيقات الطبيعية:

على غرار المعيقات البشرية التي كان يتعرض لها الحاج هناك معيقات طبيعية تعرضت لها القوافل الحجية تمثلت في العواصف المملؤة بالأتربة والغبار مما يعطل مسير القوافل لعدم وضوح الرؤية وقد يؤدي إلى ضياع الطرق في معظم الأحيان مما يضطر القوافل إلى تغيير مسارها وسلك طرق جديدة وقد تكون هذه الطرق أصعب وأكثر مشقة من الطرق الرسمية.[3]

---

[1]- البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدلولي، القاهرة، ط3، 1991م، ص ص39، 40.

[2]- ابن جبير: المصدر السابق، ص ص38، 39.

[3]- سليمان عبد الغني وسعد الدين أونال: تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين دراسة تاريخية ميدانية، مركز أبحاث الحج مكة المكرمة، ص70.

وفي كثير من الأحيان تسلك الركب الغابات المليئة بالحيوانات المتوحشة والمفترسة، مما يؤدي إلى تعطيل مسارها ويضطر الكثير من الحجاج ما يرجعون أدراجهم إلى بلاد المغرب خوفا على أنفسهم.[1]

وإن أكملوا مسيرتهم ينفقون بذلك ما اصطحبوه من مال[2] وإن سلك الركب طريق البحر كثيرًا من الأحيان تتعرض للعديد من المشاكل أهمها الرياح التي شكلت عائقا كبيرًا أمام الرحالة المغاربة.[3]

وفي هذا يقول ابن جبير: "وفي ليلة الأربعاء يعدها من أولها عصف علينا ريح هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه سهام، فعظم الخطب واشتد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائرة...".[4]

وتتجه لذلك بقية السفن المغاربية بمرسى جدة فترة لركود هذه الرياح، فكانت مدة بقاء هذه الركب مدة طويلة تقدر أحيانا بشهر كامل، وهذا ما يؤدي إلى سوء العيش واختلال الصحة لعدم وجود أغذية كافية، وكذلك عدم وجود مياه صالحة للشرب.[5]

حتى أصبح الحجاج يسيرون بدون دليل لشدة الرياح ويقول العبدري في هذا الصدد: "فسرنا معها فلما وصلنا إلى موضع تحقيق الخوف ونحن لا نعرف سواء الجادة المخرفة ظهر لنا أن نخاطر في ركوب متن الغلاة بلا دليل وذلك إلى حين غروب الشمس".[6]

وكذلك الأمطار الغزيرة التي تعترضهم أثناء مسيرتهم، أيضا في بعض الأحيان تعترضهم العواصف القوية من ثلوج، وهذا كله يعرقل طريق الحجاج لأداء واجبهم في فريضة الحج.

---

[1]– سليمان عبد الغني وسعد الدين أونال: المرجع السابق، ص70.

[2]– نفسه، ص71.

[3]– نفسه، ص70.

[4]– ابن جبير: المصدر السابق، ص10.

[5]– محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: المرجع السابق، ص ص41، 42.

[6]– محمد العبدري: المصدر السابق، ج1، ص26.

الفصل الثانـي

نماذج من الرحالة في القرن السابع والثامن الهجريين

أولا: نماذج من الرحالة قبل القرن السابع والثامن الهجريين

ثانيا: رحالة القرن السابع الهجري

ثالثا: رحالة القرن الثامن الهجري

أولا: نماذج من الرحالة قبل القرن السابع والثامن الهجريين

تعتبر الرحلة إلى الحج من أهم الطرق التي استغلها العرب عامة والرحالة خاصة إلى تحقيق أهدافهم المتنوعة للوصول إلى أعلى المراتب سواء من الجانب الديني أو العلمي وحتى السياسي والتجاري ومنه بدأت الفترة الأولى للرحلة إلى الحج في بلاد المغرب اثر الفتوحات الإسلامية على الشكل الذي جاء به الفاتحون المسلمون والتي وصل بها الزمن إلى القرون التي بعدها.

استقبل المغاربة موجات العرب الفاتحين وأخذوا عنهم أمور دينهم و لغتهم واجتهدوا ما استطاعوا لمنافستهم أو التفوق عليهم حيث اعتبروا أن العلم ليس حكراً على أحد أن لطالبيه الحق في الاتصال بالعلماء والاخذ عنهم ومن ثم حرص المغاربة على الوصول اليه من منابعه فجالسوا مشاهير العلماء وأخذوا عنهم الدروس والكتب وكل هذا كان أثناء الرحلات إلى الحج حيث كانت الرحلات الأولى لعلماء بلاد المغرب تتزامن مع موسم الحج لتأدية الفريضة ومقابلة الشيوخ والعلماء والاخذ عنهم وكان ملتقى المسلمين في الحج. إضافة إلى تشاورهم في أمور دينهم ودنياهم فهو ملتقى لأصحاب المذاهب الفقهية والسياسية خاصة لأن ذلك العصر كان عصر التنافس بسبب الامراء والخلفاء في احتضان العلماء والقادة والادباء والشعراء[1].

ومهما اختلف في الأسباب المتنوعة للرحلات فإن هذه الأخيرة منذ بدايتها عند المسلمين كانت ترتكز على السبب العلمي فكانت بغرض أخذ الفقه والحديث فاتصلوا بإمام دار الهجرة مالك ابن انس[2] وكانوا يحظون عنده بالعناية لنبهاته من جهة ولنشر مذهبه في

[1]– بشير رمضان التليسي: المرجع السابق، ص195.

[2]– هو إمام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه انتشر مذهبه بالحجاز والبصرة ولد سنة 93هـ وتوفي 179هـ وهو إمام الأئمة، عالم المدينة أمير المؤمنين في الحديث الشريف، كان اشهر محدثي عصره.... للمزيد انظر محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ط)، (د.س)، ص236.

بلاد المغرب من جهة أخرى حتى أصبح أهل المغرب ماليكية أغلبهم كما يقول المقدسي "أما في المغرب فمذهب مالك وأصبحوا يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك فإن عثروا على حنفي أو شافعي نفوه وإن عثروا على معتزلي أو شيعي نحوهما ربما قتلوه"[1].

وعليه كان المغاربة يحضون بمكانة مرموقة لدى مالك ابن أنس حيث يؤكد ذلك المالكي بقوله "قدم عبد الله بن فروخ المدينة حاجا، فلما نزل المدينة.. ثم توجه إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتى مالك بن أنس عليه السلام فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقدم إليه وكان لمالك موضع قرب مجلسه لا يقعد فيه احدا فأقعده فيه وسأله عن أموره وأحواله..."[2].

وعليه فإن الرحلات الحجية بمختلف بواعثها ظهرت في بلاد المغرب منذ القرون الأولى، ومن أبرز العلماء الذين ارتحلوا لأداء فريضة الحج خلال القرن الثاني الهجري نجد:

1- أبو خالد عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري قاضي إفريقية ولد بإفريقية وتوفي بالقيروان سنة 161هـ، كان من أشهر المحدثين منسوب إلى الزهد والورع صلبا في دينه متقننا لعلوم شتى وهو وأول مولود ولد في الإسلام بعد فتح إفريقية وكان سفيان الثوري يعظه ويعرف حقه، وزاره سفيان في مكة. رحل إلى الحج وسمع من العديد من العلماء ثم رجع إلى إفريقية وبقى في القيروان إلى أن توفي[3].

2- أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي ولد سنة 101هـ فهو أحد حفاظ الفقه، ارتحل لأداء فريضة الحج فسمع عن مالك ابن أنس ولكن في طريقه للرجوع مر بالعراق وسمع عن سفيان الثوري وهو فقيه القيروان[4] رحل إلى الحج وزار عدة مناطق وسمع عن العديد من العلماء من بينهم مالك ابن أنس وسفيان الثوري وأبي حنيفة، ثم رجع إلى القيروان وانتفع به الخلائق

[1]- المقدسي: المصدر السابق، ص153.

[2]- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم ويسر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوس، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1403، 1983، ج1، ص179.

[3]- نفسه، ص155.

[4]- محمد بن محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص66.

روى عنه مسلم وغيره وكانت له اكثر من رحلة. توفي بمصر وهو راجع من الحج سنة 176هـ.[1]

3- علي بن زياد العبسي التونسي أبو الحسن هو أحد علماء بلاد المغرب المتقدمين كان له دور كبير في إدخال المذهب المالكي إلى بلاد المغرب قال عنه المالكي "وهو أول من أدخل المغرب وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، وهو معلم سحنون[2] رحل الى الحجاز والعراق ولم يكن سحنون يقدم عليه أحد من أهل المغرب وهو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان الثوري إلى بلاد المغرب..."[3].

من أبرز علماء القرن الثالث الهجري نجد:

1- أبو خارجة عنبسة بن خارجة، الفافقهي (ت210هـ) قام برحلة إلى المدينة المنورة وقد سمع عن تلميذ مالك ابن أنس، وعن الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وغيرهم من علماء مكة والمدينة وقيل أنه هو من جلب جامع سفيان الثوري الصغير إلى المغرب وقيل أنه يروي عن مالك غرائب لم تكن عند غيره من رحالة ذلك القرن[4]، يقول المالكي بأنه مجاب الدعوة وكان أسن من سحنون وكان محبوبا عند الناس... وكان سحنون يعظم أبا خارجة ويعرف حقه...."[5] وكان شيخا صالحا عالما باختلاف العلماء وكان يتقن معظم العلوم من الحديث والفقه والعبارة، والعربية وغيرها، وقد أدى فريضة الحج.[6]

2- أبو الوليد عباس بن الوليد الفارسي (ت218هـ) كان فقيها مأمونا حافظا للحديث، قام برحلة إلى الحج والمدينة المنورة التقى بمالك بن أنس وسمع عنه، كان أحج الأئمة

---

[1]- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتغريب المسالك في معرفة أعيان مذهب مالك تح: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة المملكة المغربية، الرباط، (د.ط)، (د.س)، ج1، ص39.

[2]- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص234.

[3]- نفسه، ص589.

[4]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج1. ص34.

[5]- المالكي: المصدر السابق، ص ص242-244.

[6]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص270.

المصدودين والعلماء الراسخين انتشرت امامته في المغرب والمشرق، استشهد بمدينة تونس عام 218[1].

ومن علماء القرن الرابع الهجري نجد:

1- ابن سفيان الهواري المقري القيرواني: كان أبو عبد الله من أهم علماء إفريقية أخذ عن العديد من علماء المغرب، كالفاسي كما و رحل إلى أبن غليون، كان الغالب على كتاباته علم القرآن كان ذو فهم وحفظ وعفاف ومن أهم مؤلفاته كتاب الهادي وغيره، رحل إلى الحج وسمع عن العديد من علماء المدينة ومكة واثناء رجوعه توفي بالمدينة سنة 415هـ[2].

2- أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي من أهل القيروان سمع من شيوخ هذه المنطقة وتعلم على يدهم ومن أهم الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم نجد الأجذابي وأبا بكر بن عبد الرحمان وغيرهم، رحل إلى الحج فسمع بمكة من المطواعي ثم رحل إلى مصر وسمع من ابن أبي ربيعة، وأبي الطبال، كان فقيها حافظا للمسائل، وبعد قضائه فترة طويلة في بلاد المشرق قدم المنطقة وأخذ بعلم غيره ما أخذه أثناء رحلته وله تآليف في ذم بني عبد الله الشيعي.[3]

من علماء القرن الخامس الهجري نجد:

1- محمد القاضي أبو عبد الله بن خلف بن سعد المعروف بابن المري كان من أهم فقهاء إفريقية، تولى منصب الفقهية بمساجد إفريقية ولي منصب القضاء، وله تآليف في شرح البخاري. رحل إليه الناس من جميع أنحاء بلاد المغرب والأندلس وسمعوا منه نذكر منهم

[1]- المالكي: المصدر السابق، ص250.

[2]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص366.

[3]- نفسه،ج2، ص369.

القاضي أبو عبد الله التميمي والقاضي أبو الحافظ والفقيه أبو محمد بن أبي جعفر وغيرهم، توفي بالمدينة المنورة سنة 480هـ[1].

2- موسى أبو عمران بن عيسى بن أبي حجاج الفاسي وهو من قبيلة زناته وأصله من فاس، ترأس مناصب العلم في القيروان ورحل إلى قرطبة وتفقه بها عند الأصلبي، وسمع من أبي عثمان وعبد الوارث، ثم رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج ثم رجع ومر على العراق وسمع من أبي الفتح بن أبي الفوارس وغيرهم، وكان أبو عمران من أحفظ الناس وأكثرهم علما، جمع حفظ المذهب المالكي وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة معانيه، وكان يقرأ القرآن بالسبع ويجوده ولقد أخذ عنه الناس من جميع أقطار المغرب والأندلس، كان له تأليف التعليق على المدونة حيث يقول ابن فرحون" أنه قال حاتم لم يولد ألف أحد أوسع علما منه، ولا أكثر رواية، توفي أبو عمران سنة ثلاثين واربعمائة".[2]

ثانيا: رحالة القرن السابع الهجري

1- رحلة العبدري (في اواخر القرن السابع هجري):

وهو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي، ويرجع نسبه إلى نسب عبد الدار، وتدل نسبة العبدري على أنه كان من أصل عربي قريشي[3] وكان سلفه يقطنون بلاد حاحة القبلية البربرية (منطقة بالمغرب الاقصى) وهناك اختلاف عند من ترجم للعبدري، واختلفا المترجمون منهم من يرجع موطنه الى حاقة ومنهم من يجعله في مراكش او من فاس[4].

[1]- ابن فرحون: المصدر السابق، ج2، ص369.

[2]- نفسه، ج2، ص463.

[3]- نفسه، ج2، ص321.

[4]- نواف عبد العزيز الحجمية: المرجع السابق، ص83.

أما لتاريخ ميلاده فقد كان مجهولاً، وبالنسبة لوفاته فقد كانت سنة 720هـ[1] ومن صفاته المعروف بها الحدة والغضب والسخط وعدم الرضا وكان من جرأة أحكامه على أهل المدن خاصة من ضئيلي الثقافة أنه يسارع إلى رميهم بأقدح الذم والهجاء، معتقدا صحة ما يفعل[2].

وقد عزم العبدري على الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج فسافر اليه برفقة ابنه في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 668هـ، الموافق 11 كانون الأول (ديسمبر) 1289م[3]، وكان الهدف من وراء أيضا هذه الرحلة العلم والتجارة، ونلمس ذلك بوضوح في إشارته إلى أنه كان يحمل القمح لبيعه في مكة المكرمة وهذا دلالة على اشتغاله بالتجارة[4]، وسجل كل ما رآه في رحلته ذهاباً وايابا، وقد مرّ بكثير من المدائن في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى، ومصر والحجاز وقد عرج على فلسطين أيضا في طريق توجهه نحو المشرق، وزار بعض مدنها، وأقام فيها بعض الوقت، كما وأقام في القاهرة والاسكندرية كذلك، ثم قفل رحلته راجعاً إلى بلده عن طريق الجزائر وتلمسان وفاس ومكناس، حتى بلغ أزمور التي تقع على شاطئ المحيط الأطلسي حيث لحقت به أسرته.[5]

ومن أهم رحلاته المسماة برحلة العبدري وهي الرحلة المغربية التي كان وراءها سببان حملاه على المضي فيها، فالأول سبب ديني وهو القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة والاتصال بالمتصوفة والصالحين. وقد صرح بأنه كان ينوي الإقامة فيها لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرحيل عنها.[6]

---

[1]– علي ابراهيم كردي: المرجع السابق، ص84.

[2]– عواطف نواب: المرجع السابق، ص117.

[3]– محمد العبدري: المصدر السابق، ج1، ص7.

[4]– عواطف نواف: المرجع السابق، ص118.

[5]– نفسه، ص ص 118–120.

[6]– علي ابراهيم الكردي: المرجع السابق، ص87.

أما الشق الثاني فيعكس رغبته في لقاء العلماء والأعلام والأخذ عنهم والبحث عن السند العالي فهو دائم السؤال عن الأحوال العلمية والثقافية في كل بلد حل به مستمرا في البحث عن العلماء وأصحاب الأسانيد فإذا صادف علماء ينشرح صدره وتطيب نفسه فينطلق لسانه بالثناء والشكر، كما فعل بتونس[1]، مع عبد الله بن هارون الطائي، كما تسلم فيه الحزقة من الشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف الأندلسي وسمع من أبي زيد عبد الرحمان بن الاسدي في القيروان ثم سمع في مصر من شرف الدين الدمياطي، وابن دقيق العيد، وزين الدين بن المنير وغيرهم.[2]

لقد انجذب العبدري لتونس ومجالسها العلمية، وقد أفصح عن ذلك بقوله وهو داخل إلى تونس عن الصدور من الحجاز "ولقد أقمت بها مدة حتى شفيت الحشا العليل ونفعت بوردها العليل، فقطعت فيها العدو والأصيل، بمجالسة كل ما أنفعل عن العالم يوضح الحلك مهما أجاب، إلا إلى صالح يحتلب به السحاب، ولا أغد ومن مجلس أدب كقطع الرياض، الا إلى محفل وعظ يبقي الخدود بالدمع الفياض، فقطعتها أيام من غفلات الدهر مختلسات، ونتظم لي بها شمل أنسي مال مامني بالشتات، فلم يحق بها شيخ مذكور إلا رأيته، ولا علم مشهور إلا أتيته".

ومن أهم مميزات رحلات العبدري نجد أنه اتبع منهجاً واضحاً وهو أنه سيفيد ما أمكنه تقيده بطريقة تجعل الناظر إليه يفهم كل صعب، كما أنه سيصف البلدان التي زارها وساكنيها بقدر ما يدركه ويعاينه بالمشاهدة من غير تقبيح أو تحسين أو إخفاء، مظاهرا كذلك بصورة واضحة بحيث يكون السامع كالناظر، كما أنه أورد ما استفاده من أخبار

[1]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص185.

[2]– محمد العبدري: المصدر السابق. ج1، ص81.

وقصائد ونكت وغيرها من الأمور التي تتم فيه الرحلة كما أكد أنه سيؤيد أقواله بالأحاديث التي رواها والآثار التي شاهدها متبركا بإثباتها وإثبات الفضلاء عن روايتها.[1]

لكن الذي يميز رحلة العبدري هو الأسلوب الأدبي الشيق والمعرفة الدقيقة بسير الرجال، ومن هنا فإننا نعتبر أن الرحلة مصدرا لعدد من التراجم المغربية من العلماء والأدباء[2].

كما حفلت الرحلة بالكثير من الأبيات الشعرية للعديد من الأدباء والعلماء الذين لقيهم، كما اهتم بعلم التاريخ وخاصة تراجم العلماء، وقد كان صائبا في بعض الحكم على علماء عصره ومن مميزات الرحلة أيضا التدقيق في الآثار القديمة والتصوير الدقيق للحالة الاجتماعية والدينية التي كانت عليها البلاد الإسلامية في ذلك الوقت، إضافة إلى اعتنائه بالجانب الاقتصادي في المدن التي زارها وقد كتب رحلته بلغة سليمة تنم عن إحاطته بمفرداتها وأدق أمورها[3].

تحدث العبدري عن مكة والمدينة والمشاهدات التي صادفها في هاتين المدينتين حيث يقول: "وفي يوم التروية الثامن ذي حجة دخلنا البلد الآمين مقد المجد الصميم والشرف المكين، فخر بقاع الأرض كلها على مر السنين، فأقسم بالله أعظم يمين قسما لا يكذب ما حرم سكناه إلا ذو حظ غبين". ويقول عنها شعرا:

بلد نحوه يحن الرسول وبه عقلت قديما عقول[4]

[1]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص119.

[2]– محمد العبدري: المصدر السابق، ج1، ص12.

[3]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص120.

[4]– عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ج1، ص81.

ومما لا شك فيه أن العبدري اعتمد على مصادر في رحلته منها كتب السيرة والحديث، وكتب التصوف والمديح وكتب الجغرافية والرحلات والتاريخ والدواوين.... وقد كان يرجع إلى مصادر في كل أحكامه وتعليقاته وإشاراته[1].

وقد أصدر العبدري في ذلك كله عن طائفة من المصادر المتنوعة تأتي في أولها المشاهدة، ثم الرواية الشفوية، ثم المصنفات المختلفة التي نقل عنها[2].

أما المشاهدة فقد تجسدت في المعلومات الجغرافية عن المناطق والبلاد التي زارها ومر بها، وخصائصها العمرانية، وتضاريسها، وكان وصفه لها وصف شاهد عيان، يصف أيضا السهول والجبال بأسلوب كله انفعال، كما أنه أخذ من عدة علماء مشاهدتهم وقيدها في رحلته فزخرت بها.[3]

ومما لا ريب فيه أن هذين المصدرين كانا المصدرين الأساسيان اللذان أخذ منهما العبدري، وعول عليهما في تقييد رحلته.[4]

أما المصدر الثالث في المصنفات التي نقل عنها ما لم يشاهده ليؤكد على اعتماده المصادر المكتوبة وطريقته في ذلك أن يذكر المصدر ثم ينقل عنه، أو أن يبدع النقل، ثم يقول حكاية هذا فلأن في كتابه كذا، أما فيما يخص مؤلفات العبدري فإنه لا يوجد مؤلفات غير رحلته التي دونها وسماها باسم الرحلة المغربية.[5]

[1]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق،ج1، ص ص 188، 189.

[2]– نفسه، ص 189.

[3]– علي ابراهيم الكردي: المرجع السابق، ص 92.

[4]– نفسه، ص 92.

[5]– محمد العبدري: المصدر السابق، ج1، ص 118.

2- رحلة ابن رشد السبتي الفهري (657-721هـ) (1258-1321م):

هو محمد ابن محمد ابن ادريس، بن عبد الله بن السعيد ابن مسعود بن حسن بن محمد الفهري، من أهل سبتة، يكنى أبو عبد الله ويعرف بابن رشيد الخطيب المحدث[1]، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء أهل العلم سنة 683هـ[2]، كان متضلعا في اللغة العربية والعروض وكان فريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وأدبا وسمتا وهداية كثير السماع على الإسناد صحيح النقل تام العناية بصناعة الحديث، وفقيها اصيل النظر ذاكرا للتفسير، حافظا للأخبار والتواريخ، عارفا بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة بارع الخط حسن الخلق، كثير التواضع[3].

قرأ ابن رشد سبتة القرآن الكريم بالقراءات السبع على يد الأستاذ أبي الحسن أبي الربيع السبع وتعلم على يده اللغة العربية كما درس في بجاية على يد أستاذه الحافظ أبي محمد عبد العزيز عمر القيسي[4].

قرأ بتونس على قاضي الجماعة ابي القاسم بن أبي بكر بن زيتون، ثم انتقل ابن رشيد إلى مدينة فاس التي كانت مركزا علميا مرموقا والتزم مجالس الشيوخ فيها[5]، ولم يكتفي ابن رشيد بما حصل عليه في بلاد المغرب من علوم سواء في علوم القرآن أو التفسير أو الحديث أو النحو واللغة والأدب بل رحل إلى المشرق حيث التقى عددا كبيرا من الشيوخ وجمع عددا وافرا من العلوم المختلفة وكانت انطلاقته الأولى من المرية عبر البحر حيث

---

[1]- أبو عباس المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح، إبراهيم الأبياري، مطبعة الجنة، القاهرة، (د،ط)، 1359هـ- 1940هـ، ج2، ص307.

[2]- ابو فرحون: المصدر السابق، ص 310.

[3]- أبي القاضي ابن العباس أحمد بن محمد المكي: درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د،ط)، 1390هـ- 1970م، ج2، ص15.

[4]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص77.

[5]- نفسه، ص77.

التقي بذي الوزارتين[1] وأكمل طريقه إلى مصر والشام وبلاد الحجاز وأخذ عن الأئمة الأعلام ما تلقى من العلوم وتوسع فيها إلى أبعد غاية.

وكان له تحقيق بعلوم الحديث والرواية، يقول المقري قال القاضي أبو البركات ابن الحاج في حقه "ابن رشيد ثقة عدل، من أهل هذا الشأن المتحققين به" وكان أيضا "من أهل المعرفة بعلم"[2]. وأيضا " صناعة العربية، وعلوم البيان والأدب والعروض والقوافي... حسن العهد كريم العشرة"[3].

وكان كثير الاهتمام بالعلوم الدينية، لأنه مالكي المذهب، ولم يكن متعصبا له، بل العلم كان بغيته ومقصده، فقد قرأ المذاهب الأربعة دون تمييز بين مذهب وآخر، وتذكر بعض المصادر أن ابن رشيد كان ظاهري المذهب وهذا ما سبب له مضايقة ومتابعة من طرف العلماء خاصة في غرناطة، ولم يقتصر دوره على التعلم فقط بل أخذ بعلم كما وشغل مناصب مهمة سواء في سبة أو فاس أو غرناطة[4].

عزم ابن رشيد على الرحلة لأداء فريضة الحج خلال القرن 7هـ/13م، وكان الهدف من رحلته المشرقية لقاء العلماء الذين التقى بهم لأخذ العلم وفي الإسكندرية التقاء العدل المبرز سراج الدين أبابكر بن أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمي"[5] وبالقاهرة الحافظ ابا محمد عبد العظيم بن عبد القوي السندري (ت 656هـ) وإسماعيل ابن فارس التميمي ثم انتقل إلى دمشق وأخذ عن شيخ الشيوخ عز الدين أبي العز عبد الله (746هـ) وعبد الله بن عبد المنعم

[1]– ابن عبد الحكيم ذ والوزارتين أبو عبد الله مجمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن يحي بن محمد بن سعدين محمد بن فتوح بن أيوب بن محمد اللخميمن اهل إشبيلية كان عالكا في الفضيلة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار متين الحرمة رافق ابن رشيد في رحلته الحجازية كان شاعرا وأديبا وخطيبا فصيح القلم، مولوده في شهر ربيع الاول سنة 660هـ للمزيد ينظر: شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ص 341.

[2]– نفسه، ص365.

[3]– نفسه، ص 357.

[4]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص 77.

[5]– ابن القاضي: المصدر السابق، ص16.

ابن علي الحرابي.. وغيره من الشيوخ، ثم اتجه نحو الحرم الشريف لأداء فريضة الحج والتقى بالعديد من العلماء وقد ذكرهم في رحلته المسمات ملاء الغيبة بما جمع في طول العيبة في الوجهة مكة وطيبة"[1] ومنهم المحدث الأديب المقيم بالحرم الشريف أبو إسحاق عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر"، "وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن خليل بن إبراهيم المكي". وبالمدينة المنورة "الشيخ الامام النحو عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن محمد ابن مزروع البصري (ت 696هـ) وغيرهم"[2].

ولما قفل ابن رشيد راجعاً بعد أدائه لرحلته في المشرق التي استغرقت من حياته، ثلاثة سنوات (683- 686هـ/ 1284م-1287م) عاد إلى مدينة سبتة وأخذ بالتدريس ولكن الحظ لم يحالفه، فكتب إليه رفيقه الوزير ابن الحكيم يستدعيه إلى حضرة غرناطة فقدم إليه ولقي ترحيبا واسعا من قبل السلطان وأهل المنطقة ولم يزل مقيما بها متهيأ للإقراء ومركز الدائرة القراء إلى أن قتل الوزير، فرحل من غرناطة إلى فاس ثم مراكش ونزل بجامعها العتيق خطيبا ومدرسا وأقام بها سنين،[3] ثم رجع إلى فاس إلى أن توفي بها رحمة الله في 23 محرم 721هـ وقيل 24 محرم ودفن خارج باب الفتوح بالروضة المباركة[4].

ومن آثار ابن رشيد أنه ترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم:

- السنن الأبن في السند المعنعد.

- المقدمة المعرفة لعلو المسافة والصفة.

[1]- ابن رشيد: المصدر السابق، ج5، ص 49.

[2]- الحسن الشاهد: المرجع السابق،ج1، ص 153.

[3]- ابن رشيد: المصدر السابق، ج5، ص75.

[4]- ابن القاضي: المصدر السابق، ص356.

- إحكام التأسيس في أحكام التجنيس.[1]

- الإضاءات والإنارات في البديع المسماة بإيراد المرتع المريع لرائد التسبيح والترميع.

- وصل القوادم بالخوافي.[2]

- كتاب القوانين في النحو.

- ترجمان التراجم على أبواب البخاري.[3]

وأيضا ما يدل على مركزه العلمي كثرة تلاميذه حيث ذكرت كتب التراجم العديدة منهم ولا مجال للإحاطة بهم (الإحاطة، والديباج المذهب، ونيل الابتهاج، وجذوة الاقتباس، ودرة الحجال... وغيرها) ومن أهم تلاميذه نذكر[4] منهم أبو البركات محمد بن الحاج البلفيقي الذي اعتبره ابن خلدون شيخ المحدثين وأبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني (ت749هـ) وإبراهيم التسولي الفاسي (ت749هـ)، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الاحضاري...وغيرهم.[5]

3- رحلة التجيبي: (670-730هـ) (1271-1329م):

هو القاسم بن يوسف محمد بن علي التجيبي السبتي، ولد بسبة سنة 670هـ/ 1271م ونشأ فيها حفظ القرآن الكريم بقراءته المختلفة، قرأ كتب التفسير والحديث الشريف وعلومه المختلفة، والفقه والتصوف، وعلوم العربية على مشايخ بلده[6]، وهو رحالة أندلسي الأصل لكنه

---

[1]- الحافظ جلال الدين السيوطي: بغية الوعان في طبقات اللغوين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركاه، (د،ب)، ط1، 1389هـ، 1965م، ج1، ص ص 199، 200.

[2]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص78.

[3]- الحسن الشاهدي: المرجع السابق،ج1، ص153.

[4]- أحمد حدادي: المرجع السابق، ص 201.

[5]- الحافظ جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، ص 200.

[6]- علي إبراهيم الكردي: المرجع السابق، ص58.

لكنه نشأ في المغرب ويعتبر مغربي، يظهر لنا من مضمون رحلته والمشايخ الذين تتلمذ على يدهم يظهر لنا مدى ما تمتع به من ثقافة واسعة في كونه وصف بغزارة علمه بالعالم البارع المحدث الحافظ المتقن العارف بالحديث القيم على أنواعه، الضابط الثقة[1].

ومن السمات التي اكتسبها والصفات التي تميز بها كميزة الاحترام والتقدير وأدب الأسلوب وغيرها من الصفات الخلقية على غرار المذكورة سابقا، يرجع ذلك إلى تنقله بين مجالس العلم الكثيرة في بلاد سبتة.[2]

ولقد ارتحل لأداء فريضة الحج سنة 695ه ويعد هذا السبب هو الرئيسي وراء رحلته وكان خروجه سنة 695ه/1295م وكان له هدف آخر هو لقاء العلماء والأخذ عنهم، وقد انتقل بين مراكز العلم في شمال إفريقيا حتى وصل القاهرة في بداية سنة 696ه/1296م، وقد قام بتدوين رحلته أثناء سفره وأضاف إليها المزيد من الحوادث التي علمها عقب عودته إلى بلاده.[3]

وقد عرفت رحلته باسم "مستفاد الرحلة والاغتراب" وهذه الأخيرة كانت تحكي مجمل أحداثه أثناء الحج ذكر المؤرخون أنها في ثلاث مجلدات ضخمة ،غير الذي وصلنا منها هو الجزء الثاني الذي يتحدث فيه عن مدينة القاهرة التي تعد مركزاً علمياً مهماً في تلك الفترة وعن آثارها ومن لقيهم من العلماء فيها، ووصف طريق منها إلى البلد الأمين.[4]

وفي حين لا يزال الجزء الأول والثالث مفقودين، وها يضمان كلام الرحلة عن بداية رحلته وطريقه إلى مصر، وكذلك حديثه عن الرحلة في الحجاز وبيت المقدس والشام،

[1]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص121.

[2]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص216.

[3]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص121.

[4]– علي إبراهيم الكردي: المرجع السابق، ص 59.

وطريق العودة إلى بلده، في حين يتضمن الجزء المطبوع[1] ترجمة للشيوخ الذين لقيهم في رحلته نذكر منهم تاج الدين أبي الحسن علي الحسين العراقي،[2] وذكر ما رواه عنهم وما سمع منهم بأسانيدهم ويصف ما رآه في طريقه من معالم وأثار ومشاهدة، وبعض الجوانب الاجتماعية من عادات وتقاليد ومذاهب مختلفة، وكما لم يفضل التجيبي الحديث عن وصف المقابر.[3]

واعتمد التجيبي على أسلوب المرسل في كتاباته أي أثناء كتابة رحلة[4] وقد أشتهر التجيبي بكثرة التآليف وتنوعها لكنه لم يصلنا منها إلا القليل ولم يعرف له إلا هاته الآثار التي تحتسب له في رصيده وتبقى شاهدة له نذكر منها:

– مستفاد الرحلة والاغتراب: ويتضمن وصف رحلته من حيث خروجه إلى عودته.

– برنامج التجيبي وهو مأخوذ من مستفاد الرحلة والاغتراب، حيث أستخرج التراجم الموجودة فيه وجعلها في برنامج قائم بذاته بالإضافة ما أخذه أثناء لقائه بالمحدثين والفقهاء في تنقلاته بين المراكز العلمية[5]بالإضافة إلى هذه المؤلفات المشهورة نجد أيضا مؤلفات أخرى منها:

– استدراك على كتاب الذيل والتكملة إذا ورد في هذا الاستدراك تراجم منها مؤلفه.

– الأربعون حديثا في فضل الجهاد والحث عليه، قد أخرجها من مروياته للسلطان أبي سعيد المريني الذي كان يعظمه ويجله.[6]

وقد توفي التجيبي رحمه الله سنة 730هـ/1329م.

---

[1]– علي ابراهيم الكردي: المرجع السابق، ص ص 59، 60.

[2]– عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج1، ص 95.

[3]– علي إبراهيم الكردي: المرجع السابق، ص 60.

[4]– نفسه، ص 60.

[5]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص12.

[6]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، 220.

ثالثا: رحالة القرن الثامن هجري

1- رحلة ابن بطوطة: (703- 770هـ) (1303- 1368م):

هو محمد عبد الله بن محمد إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله[1] الملقب بشمس الدين المعروف بابن بطوطة بتشديد الطاء الأولى المضمونة [2]و تشير النسبة الأخيرة إلى علاقته بطنجة[3] التي رأى النور فيها لاول مرة في مولده يوم 24 فبراير 1304م- 702هـ[4] وهناك من يقول في يوم الاثنين السابع عشر من رجب سنة 1303م- 703هـ[5] في مضيق جبل طارق شمال المغرب[6] وقد اشتهرت أسرته بهذا اللقب أيضا نسبة إلى قبيلة لواته[7] البربرية التي انتشرت بطونها على طول ساحل إفريقية حتى مصر[8].

واللقب الذي اشتهر به ابن بطوطة ليس خاصا به بل كانت تلقب به أسرته فقد ذكر أن قاضي رندة ابن عمه الفقيه أبا القاسم محمد بن يحي بن بطوطة ويظهر من هنا أن اللقب

ظل يطلق على أفراد هذه الأسرة أجيالا[9]، وإن حدث له بعض التحريف فقد ذكر خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام أن في مدينة نابلس في فلسطين أسرة تدعى بيت بطبوط

---

[1]- خير الدين الزركلي: الاعلام قاموس تراجم شهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين المستشرقين، دار العلم للملاين، بيروت، مايو 2006، ط15، ج6، ص235. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص132.

[2]- الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص249.

[3]- هي إحدى مدن المغرب تقع على الشاطئ الإفريقي لبحر العدوة بحر الزقاق الذي يصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الاطلسي والذي يعرف باسم مضيق جبل طارق... للمزيد انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص44.

[4]- أغناطيوس يوليا نوقتشيكرا تشكوقسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، دط، 1957، قس1، ص ص 421، 422.

[5]- الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص249.

[6]- حسن حلاق: المرجع السابق، ص 118.

[7]- لواته بطن واسعة من بطون البربر ينتسبوا إلى لواء الأصفر ين لوا الأكبر بن زهيك والبربر إذا أرادوا الجمع زادوا في الألف والتاء، وهم بطون كثيرة ولواته إحدى هاته البطون... للمزيد انظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص116.

[8]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص ص 13، 14.

[9]- نفسه، ج1، ص14.

وتعرف أيضا ببيت المغربي وبيت كمال ويقال أنها من نسل ابن بطوطة[1] وهو من أسرة عنيت بالعلوم الشرعية وعرفت بالبساطة في العيش والسعة وأهتم أبوه بتربية فدرس الفقه والأدب وأصبح حريا[2]، حصل على ما تيسر من العلم بمسقط رأسه مع ميله الشديد إلى الفقه الفقه وفقا للمذهب المالكي السائد ببلاد المغرب.[3]

وكان له صيت في المغرب يؤكد ذلك ابن خلدون في قوله "ورد بالمغرب بعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق.."[4]

ولأسرته كثير من أفرادها من تولى القضاء ولذلك اهتم والده برعايته وعمل على تعليمه ليتهيأ لتولي القضاء كم تولاه غيره من أفراد أسرته[5]، والمشهود له أن مولده كان في عهد السلطان أبو يوسف ابن عبد الحق أحد سلاطين الدولة المرينية[6] في مسيرته لقى من الملوك الملوك والمشايخ خلقا كثيرا استفاد منهم واستفادوا منه[7].

---

[1]– الزركلي: المصدر السابق، ج6، ص236.

[2]– شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 111هـ، ص95.

[3]– أغناطويوس بوليا نوقتشيكرا تشكوقسكي: المرجع السابق، قس1، ص422.

[4]– ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص322.

[5]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص14.

[6]– بنو مرين سلالة من البربر حكمت مراكش سنة 1195هـ إلى 1467هـ وقد قامت دولتها على انقاض دولة الموحدين فاحتلوا مراكش سنة 1269م وغزو الأندلس وكانت عاصمتهم مدينة فاس التي أسسها إدريس بن عبد الله وابنه إدريس بن إدريس وخضعت بعد الأدارسة للأمويين في الأندلس حيث احتلها بربر زناتة ثم استولى عليها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين ووقعت بعد ذلك في بلد الموحدين وظلت تحت سلطانهما حتى استولى عليها المرينيون واتخذوها عاصمة لهم وقد ازدهر بلاطها في عهدهم ولمع فيه من أعلام الفكر الاسلامي لسان الدين بن الخطيب وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم.... نفسه ، ج1، ص15.

[7]– محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: المرجع السابق، ص221.

وأول خروج له في رحلته كان في عمر اثنان وعشرون سنة وذلك بارتحاله للحج لبيت الله الحرام والاستزادة من العلماء المسلمين في المشرق[1] ودامت رحلته تسع وعشرين سنة ونصف سنة على وجه التقريب والتي بدأت يوم الخميس 2 من رجب عام 725هـ وانتهت بوصوله إلى مدينة فاس عاصمة السلطان أبي عنان المريني[2] في أواخر ذي الحجة عام 754هـ، وزار فيها كل بلاد العالم المعروفة في عصره وطاف فيها بقارتي إفريقيا وأسيا وجزء من قارة أوروبا وجاب فيها المغرب العربي أقصاه وأوسطه وأدناه، كما زار ليبيا وزار مصر بدءا بالإسكندرية ومرورا بشمال الدلتا ووسطها وصولا إلى القاهرة وفلسطين وزار أهم مدنها وكذا بيروت وطرابلس ولبنان وزار مدينة دمشق وحمص والمدن المجاورة لها ومن دمشق اتجه نحو الحجاز مارا بالأردن.[3]

ومنه إلى العراق وحتى اليمن وهكذا جاب معظم المدن المغربية وحتى مدن المشرق[4].

وأثناء رحلته الحجازية التقى بعلماء كثر صادفهم في طريقه نذكر منهم من صادفهم في تونس قاضي الجماعة بتونس أبا عبد الله محمد بن أبي العباس ابن الغماز والخطيب أبو إسحاق إبراهيم الربعي (ت370هـ) والفقيه أبا علي عمر ابن قداح الهواري (ت774هـ)، وفي مصر نذكر شمس الدين الأصبهاني (ت749هـ) وشرف الدين الزواري المالكي (ت743هـ) والشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المنوفي، وقوام الدين الكرماني (ت748هـ) يذكر أيضا بأنه أثناء طريقه للحجاز التقى المتصوف الخطيب فتح الدين ابن دقيق العبد (ت702هـ)[5] الذي يقول عنه بأنه" أحد الفصحاء البلغاء الذين حصل لهم السبق في ذلك، لم أرى من بها

---

[1]– شوقي ضيف: المرجع السابق، ص97.

[2]– هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحميد أبو عنان بن أبي الحسن مالك المغرب ولي السلطنة خمس سنوات ومات سنة 759هـ/1357م، انظر نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص92.

[3]– ابن بطوطة: المرجع السابق، ج1، ص16.

[4]– انظر الملحق 01، ص68.

[5]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص253.

مثله إلا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبري، وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطبي"[1]، وعن الشام فقد ذكر جامع بني أمية[2] الذي سمع داخله صحيح البخاري على يد الشيخ المعمر رحلة الأفاق شهاب الدين أحمد بن الشحنة الحجار(ت 726هـ) في أربعة عشر مجلسا في النصف الثاني من رمضان المبارك بقراءة مؤرخ الشام أبي محمد البرزلي محمد[3].

كما ولقى في بغداد أيضا الشيخ العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبي حفص القزويني (ت750هـ) الذي سمع عليه جميع مسند أبي محمد عبد الله الدارمي[4] وكان اهتمامه واضح بالعلماء والشيوخ أثناء رحلته وتنقلاته فيسعى للقائهم والأخذ عنهم في طريقه لأداء فريضة الحج التي تعتبر هاته الأخيرة أول وأهم أسباب ترحاله وتنقله في العالم. ومنه أدى ابن بطوطة فريضة الحج سبعة مرات الأولى سنة 726هـ/1325م، الثانية سنة 727هـ/1326م، الثالثة سنة 728هـ/1327م، الرابعة سنة 729هـ/1328م، الخامسة سنة 730هـ/1329، السادسة سنة 732هـ/1331م، السابعة والأخيرة سنة 749هـ/1348م[5].

وذكر ابن بطوطة 34 من الأشراف والفضلاء في الحرمين الشريفين الذين التقى بهم أثناء أداء فريضة الحج نذكر منهم من التقى به في المدينة المنورة أبو عبد الله ابن فرحون وأبو العباس ابن مرزوق وبمكة نذكر نجم الدين الطبري (ت694هـ) وأخوه زين الدين

---

[1]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص48.

[2]– هو أعظم مساجد الدنيا احتفالا واتقانا صناعة وابدعها حسن وبهي وكمالا ليس له نظير ولا يوجد له شبيها تولى بناءه واتقانه امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ووجه إلى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث إليه الصناع، فبعث إليه اثني عشر الف صانع، وكان موضع المسجد بحبشة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضي الله عند أحد جهاتها بالسيف، فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية.....نفسه، ج2، ص104.

[3]– نفسه، ج2، ص ص103–104–105.

[4]– نفسه، 2ج، ص ص 219–221.

[5]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص92.

الطبري (ت815هـ) وأبو الحسن ابن رزق الله الأنجري وغيرهم من الأسماء الظاهرة في وقته[1]، كما لم ينس الحديث عن مدينة مكة والمدينة وعن المسجد الحرام[2] بها وعن الكعبة وعن الحجر الأسود وعن المقام وعن المطاف وعن بئر زمزم وعن القباب وأبواب المسجد وعن المشاهدات التي تحيط به وعن الصفا والمروة وعن فضائل هاته المدينتين والعادات المتبعة هناك وغيرها من الأمور التي تمتاز بها مدينة مكة والمدينة المنورة كما وصام ابن بطوطة ثلاث رمضانات في مكة وهذا مالم يتيسر لغيره وهو ما ضرب به ابن بطوطة الرقم القياسي[3].

ويعتبر ابن بطوطة أعظم الرحالة المسلمين وأكثرهم طوفاً في الآفاق وأوفرهم نشاط واستيعاب للأخبار وهذا واضح في كتابه الذي أمر كاتبه محمد بن جزي الكلبي أن يدون ما يمليه عليه من أخبار ومشاهد أثناء رحلته الذي سماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار[4].

وامتازت رحلته بطولها وتنوع أحداثها واحتوائها على الكثير من المعلومات من أحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كثير من البلاد التي زارها، كما وتعتبر مصدر هاما من مصادر التاريخ الدولي للعالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري حيث قدم معلومات مهمة عن أشراف الحجاز على عهده بما فيهم الحسنيون أصحاب مكة وما عرف منهم من احتكاكات كانت بدولة المالك الممالك[5] وأيضا اعتمد ابن بطوطة على ذاكرته بشكل مطلق لأنه لم تكن له مدونات يرجع إليها يتذكر بها جميع الظروف التي المت به، كما وقد ترك لنا موروث أثنى واستفاد به المغاربة والمتمثل في رحلته وأيضا الملاحظ أن ابن

[1]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص254.

[2]– انظر الملحق 02، ص69.

[3]– الحسن الشاهدي .المرجع السابق،ج1، ص137.

[4]– زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص101.

[5]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص93، 94.

بطوطة لم يترك لنا أي إنتاج أدبي اذ لم يرد في كتاب الرحلة أو في المصادر الأخرى ذكر من مؤلفات أدبية منسوبة إليه[1]، توفي ابن بطوطة سنة 779هـ عن عمر يناهز ثلاثة وسبعين عاما في طنجة.

2- رحلة البلوي (713-780هـ) (1313-1378م):

هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن خالد البلوي[2]، لقب بأبي البقاء من حصون وادي المنصورة، كثير التواضع حسن الأخلاق جميل العشرة محب الأدب وذو خط رائق[3]، ومن صفاته أيضا كان يشبه أهل المشرق شكلا ولباسا وكان يصبغ لحيته بالحناء والكتم ويلبس البياض، كما كان يعرف بالعدل، وهو أيضا من أهل الفضل والعلم وقد أخذ عن ولده الكثير، ثم رحل إلى غرناطة ودرس فيها ثم إلى المغرب الأقصى حيث أخذ من علماء فاس، بالنسبة إلى سنة مولده لم تكن معروفة ومضبوطة لكن المرجح أن تكون سنة 713هـ، ووفاته كانت سنة 780هـ.[4]

وقد لقى العديد من العلماء أثناء رحلته التي جملها وعنونها في كتاب: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق[5] فقد لقي أبا عبد الله محمد بن جعفر الذي قصد لقاءه البلوي للأخذ عنه ويقول في هذا "قصدت لقاءه والأخذ عنه وقدمته وكنت أسمع من ملفوظ حامده، ومحفوظ محامده، ما هو بغية السامع رحليه للمسامع، فلما رويت من مكارمه ما رويت..."[6]

والتقى بنجم الدين بن مهذب الدين والذي أنشد عليه بقوله:

---

[1]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص95.

[2]- البلوي: المصدر السابق،ج1: ص ص 2، 3.

[3]- عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص ص136، 137.

[4]- نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص100

[5]- عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص137.

[6]- البلوي: المصدر السابق، ج1، ص ص9، 10.

كانت محادثة الركبان تخبرني عن مجدكم وسناكم أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى البصر[1].

وكذلك الشيخ الخطيب الحاج الفاضل أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد[2].

وينسب البلوي إلى أسرة علمية المنشأ في وسط علمي مع تربية دينية صالح وهذا ما جعله يبحث عن مجالس العلم والعلماء أثناء رحلته[3]، ويعد سبب رحلته في الأساس عند خروجه من بلده اتجه إلى أقطار الحجاز لتأدية الفريضة، وطلب العلم من الأقطار الإسلامية المختلفة التي زارها أثناء رحلته، فمر بتونس والإسكندرية والقاهرة وأقام أيضا بعض الوقت بالبيت المقدس أهم المراكز العلمية الموجودة في ذلك الوقت ومنه رافق ركب الحجاج السوري إلى الحجاز وعن أخبار رحلته فقد وصل و كل بلاد مر بها وأشار إلى الآثار الموجودة وذكر علماؤها وأدباءها مع نبذ من أشعارهم ونثرهم[4].

حيث يقول عن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عند مشاهدته لها وعينه تملأها الدموع:

الله أكبر حبذا اكباره لاح الهدى وبدت لنا أنواره

لاحت معالم يثرب وربوعها مثوى الرسول وداره وقراره

هذا النخيل وطيبة ومحمد خير الورى طرأ وما أنا جاره

هذا المصلى والبقيع وها هنا ربع الحبيب هذه آثاره[5]

[1]– البلوي: المصدر السابق، ج1، ص10.

[2]– نفسه، ح1، ص11.

[3]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص137.

[4]– زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص99.

[5]– البلوي: المصدر السابق، ج1، ص ص90، 91.

كذلك عند رؤيته الكعبة:

وضعنا جباها في الثرى قد تهللت أساريرها منها وزارها سرورها

وطفنا بها سبعا وزمت ظلالها على خائف مثلى أتى يستغيرها[1]

كما ذكر مدى تأثره عند انتهاء من أداء فريضة الحج..[2]

كما ذكر لنا أسماء الفقهاء والأدباء الذين عرفهم في مصر وذكر لنا من الإسكندرية شرف الدين أبا العباس احمد بن أبي الحسن علي الشهير بابن المصفى الذي سمع منه تصانيف كثيرة والذي تلقى منه فوائد جمة وكذلك أبا لاصيغ عيسى بن مخلوف المغيابي[3].

بدأ البلوي في رحلته يوم 17 صفر 736 هـ وانتهى من تأليف رحلته آخر يوم من شهر ربيع الأول سنة 767[4]، والملاحظ أن البلوي أثناء وصفه للمناطق أخذ من الرحالة ابن جبير، كما وتعد رحلة البلوي من الرحلات الأدبية كما انه لم ينس ذكر الحالة الأمنية والسياسية والاجتماعية وحتى الدينية والعلمية أثناء رحلته[5] كما كان له دور مهم في الجوانب الجوانب العملية الحياتية فقد تولى منصب القضاء كما كان مدرس للعلم في الإسكندرية[6].

كما كان له مؤلفات عديدة نذكر منها:

– رحلته هذه سماها تاج المفرق في تحلية علماء المشرق وهذه التي ذكر لنا فيها رحلته الحجية وكانت سببا في أدائه الفريضة.

---

[1]– البلوي: المصدر السابق، ج1، ص101.

[2]– نفسه، ج2، ص121.

[3]– نفسه، ج1، ص ص39–61.

[4]– عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ج1، ص 130.

[5]– عواطف محمد نواب: المرجع السابق، ص ص137، 138.

[6]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص ص101–104.

– ديوان الشعر ضمنه قصائده ومقطوعاته.

– له مجموعة منتقاة اختارها من أشعار معاصرية.[1]

3- رحلة عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ) (1332-1406م):

هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الخضرمي[2]، ولد ابن خلدون في رمضان سنة 732هـ بتونس من أسرة أندلسية، هاجرت من الأندلس إلى تونس أواسط القرن السابع الهجري[3] حيث ينسب سلفهم إلى وائل بن الحجر، انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عند حدوث الحادثة التي تغلب ملك الجلاقة فرديناندو والثالث فيها ومنها إلى الأندلس في أوائل المئة السابعة، ثم استقروا بتونس وسكنوا فيها واخذو صفات حسنة كالاحتشام والخجل والحياء[4].

كان حسن الخلق جم الفضل رفيع القدر ظاهر الحياء أصل المجد وقور المجلس على الهمة عزوفا صعب المقادة قوي الجأش طامح الرأس للرياسة، متقدما في فنون عقلية ونقله شديد البحث كثير الحفظ صحيح النصور بارع الخط جواد الكف حسن العشرة مبذول للمشاركة[5]، ورفيع القدر مفخراً من مفاخر التخوم المغربية من ذرية وائل ابن حجر[6].

---

[1]– البلوي: المرجع السابق، ص ص 48-175-206.

[2]– ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص3.

[3]– محمد بن تاويت الطنجي: رحلة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الخضرمي الإشبيلي المتوفي 808هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003م، 1425هـ، ص36.

[4]– أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط. (د،ط)، م1973، ج2، ص410.

[5]– نفسه، ص411.

[6]– أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص251.

تعلم في البداية على يد أبيه الذي كان أديبا وفقيها ثم أكمل قراءة القران والعلوم الشرعية على يد أساتذة آخرون[1]، حيث أخذ القرآن والعربية عن الزواوي (ت743هـ) وابن العربي (ت638هـ) وتأدبا بأبيه واخذ عن المحدث ابن جابر الوادي آشي[2] (ت749هـ) وحضر مجلس ابن عبد السلام وروى عن الحافظ السطي (ت749هـ) والرئيس أبي محمد الحضرمي، كما وقد لفت عبد الرحمان إليه الأنظار ببزوغه وإقباله الشديد على قراءة الكتب[3].

قضى ابن خلدون حياته في السفر والترحال إلى الأندلس وإفريقيا الشمالية حيث تسلم مناصب سياسية مهمة، وكما لم تكن الدراسة سبب في إبعاده عن المناصب الحكومية طوال حياته، فشغل عددا من الأعمال الإدارية والكتابية قربته إلى حياة البلاط والمغامرات السياسية التي شارك فيها[4].

وبعد ذلك سافر إلى مصر ومنه الإسكندرية فالقاهرة وقد بقي مدة طويلة في هذه الأخيرة ومنها ذهب إلى مكة لتأدية فريضة الحج[5]، كما وأن ابن خلدون كان معروفا في مصر قبل مجيئه إليها فقد كان القاهري يعرف الكثير عن شخصية وسيرته وكان يقول عن نفسه "إنهال عليا طلبة العلم بها يلتمسون الإنارة مع قلة البضاعة ولم يوسعوني عذرا، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها.."[6].

---

[1]– فواد قنديل: المرجع السابق، ص338.

[2]– ابي عبد الله محمد بن جابر الوادي اشي التونسي مولداً وقراراً قام برحلتين الي مشرق لذلك لقبة بصاحب الرحلتين ومن خلال اهتم بالنقل والسماع الرواية عن أعلام القرن الثامن بالديار المشرق وخصوصا أعلام الحرمين مكة والمدينة المنورة، توفي بتونس بمرض الطاعون سنة 749هـ.. للمزيد انظر عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج1، ص128.

[3]– أحمد بن القاضي المكناسي: المصدر السابق، ص41.

[4]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص ص105، 106.

[5]– ابن العماد: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج7، ص77.

[6]– ابن خلدون: العبر، ج7، ص266.

ويقول السخاوي "وتلقاه أهلها وأكرموه فأكثروا ملازمته والتردد عليه، بل تصدر للإقراء بالجامع الازهر مدة..."[1].

هذه بالنسبة لزيارته لهذا المركز العلمي أثناء رحلته ومنه يلاحظ عن ابن خلدون أنه لم ينكر مكانة المغرب ولما لها من آثار في ثقافته وتكوينه العلمي، بل وحتى عاداته وسلوكه إذا اعتبر ثمرة من ثمرات العهد المريني فالمعروف عنه أنه رغم تقلده مناصب رفيعة في مصر فغنه ظل يعترف بفضل المغرب عليه ويبقى صلته بها ولهذا لم يخلع زيه المغربي رغم توليه القضاء الذي كان له زي متميز وكل هذا يرجع إلى احتكاكه بعلماء المغرب[2]،وفي

تونس أصبحت حضرة أبي الحسن المريني خاصة بالعلماء الذين جاءوا في ركب نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن الصباع المكناسي الذين كان بارزا في المنقول والمعقول وعارفا بالحديث وبرجاله وإماما لمعرفة كتابة الموطأ وأقرانه الذين استفاد منه ابن خلدون[3] ومنه بعد مكوثه في القاهرة توجه إلى رحلته الحجية حيث اعتزم أداء الفريضة فودع السلطان والأمراء وخرج من القاهرة منتصف رمضان سنة 789هـ إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس وركب البحر من هناك عاش الفطر ووصل إلى الينبع لشهر ورافقهم من هناك إلى مكة ودخلها ثاني ذي الحجة وأدى الفريضة من هذه السنة ثم عاد إلى الينبع فأقام بها خمسين ليلة حتى تهيأ لركوب البحر[4] والملاحظ اختزال ابن خلدون حديثه عن مكة والبقاع المقدسة في كتابة الرحلة شرقا وغربا وذلك لكونها تحدث عنها في مقدمته الشهيرة لكتابه موسوعة العبر بما كتبه عن هذه البقاع المقدسة[5].

---

[1]– شمس الدين بن محمد السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 1354هـ، ج4، ص164.

[2]– الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص509.

[3]– نفسه، ص511.

[4]– ابن خلدون: العبر، ج7، ص ص261، 262.

[5]– عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج1، ص159.

حيث لم يفصل ابن خلدون الحديث عن حجته لكنه لم يهمل المساجد العظيمة ذات الشأن الكبير التي تعتبر أفضل بقاع الأرض مكة والمدينة وبيت المقدس باعتباره قد أخذ في هذا الشأن عن البخاري في وصفه لها ومكانتها وعن الأزرق حيث يقول "أنها أفضل بقاع الأرض وعد قرة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم"[1].

وهو يقول عن البيت الحرام أثناء رحلته بمكة "إنه بيت إبراهيم أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج إليه، فبناه هو وابنه إسماعيل..." ليعود إلى الينبع بعد أداء الفريضة في جمادى سنة 790هـ[2]، كما وأنه قضى حق السلطان في لقاءه وإعلامه. كما أجتهد فيه من الدعاء له وعند نزوله الينبع لقي القيه الأديب المتقن أبا القاسم بن محمد بن الشيخ الجملة وفارس الأدباء ومنفق سوة البلاغة أبي إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف جده بالطويخي بعد قدومهم من الحج وكانوا يتفننون في النثر والشعر وهذا ما أثرى رصيد ابن خلدون الأدبي الذي تأثر به ومنه عاد إلى القاهرة.[3]

حفلت رحلة ابن خلدون بأحداث كثيرة امتدت ثلاث وعشرين سنة عاش فيها عالما وقاضيا وكانت لهاته الرحلة في حياة ابن خلدون انعكاسات وآثار على المغرب في حياته السياسية من تكاليف السلاطين والأمراء عن السلطة والسيادة وسعيه إلى عقد الصلة بين بلاط القاهرة وسلاطين المغرب حيث اهتم بالإحلال الذي لاحظه على العلاقات بين المغرب والمشرق[4] في أعقاب سفارة الأمير ابن منقد لدى المنصور الموحدي كما اهتم لرجوع تلك العلاقات في عهد بني مرين، وعمل كسفير في مفاوضاته السياسية في حوادث دمشق وأثناء

[1]– عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج1، ص160.

[2]– نفسه، ص161.

[3]– محمد بن تاويت الطنجي: المصدر السابق، ص210.

[4]– نواف عبد العزيز الحجمة: المرجع السابق، ص115.

مسيرة الرحلة إنقاد بمقام السفير للقضاء والعلماء حينما تطاردوا عليه ولم يكن غير مؤهلا للقيام بهاته المهمة[1].

وكذلك الأثر الذي تركه في الجانب الثقافي والأدبي بحصيلة المؤلفات التي بحوزته التي تعد شاهدة على مكتسباته، والجانب الايجابي الذي تركه داخل المغرب[2] نذكر من هاته المؤلفات ما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون في:

الجزء الخامس المؤلفات التالية الخاصة بابن خلدون هي:

- تلخيص المحصل لفخر الدين الرزي.

- رحلة.

- شرح الوجيز لابن الخطيب في الأصول.

- شرح قصيدة ابن عبدون.

- شرح قصيدة البردي.

- طبيعة العمران.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر[3] وفي أخر هذا الكتاب "كتاب التعريفات بابن خلدون وهو الذي بين ايدينا وعرفه الرحلة شرقا وغربا الذي تحدث فيه عن رحلته وتنقلاته نحو العالم بما فيها المشرق وأداءه فريضة الحج والمتمثل في الجزء الأخير، توفي ابن خلدون في القاهرة سنة 808هـ.

[1]- نواف عبد العزيز: المرجع السابق، ص ص115، 116.

[2]- نفسه، ص ص105، 106.

[3]- محمد بن تاويت الطنجي: المصدر السابق، ص ص6، 7.

الخاتمة

الخاتمة

إن النتيجة التي يمكن الوصول إليها من خلال دراستنا لموضوع الرحلة إلى الحج في المغرب الإسلامي في القرنين السابع والثامن هجري، أن الرحلة كانت ولا زالت الوسيلة التي يستطيع بها الإنسان التنقل والحركة في العالم، ونخص هنا رحلة إلى الحج التي كانت لها أهمية في تاريخ المغرب في العصر الوسيط وعليه يمكن استخلاص ما يلي:

- تعد الرحلة إلى الحج في القرنين السابع والثامن الهجريين من أهم الرحلات التي شهدها المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وذلك لما لها من أهداف علمية وثقافية بعد هدفها الرسمي وهو أداء فريضة الحج.
- تعددت بواعث الرحلة إلى الحج وتنوعت فمنها الدافع الديني من خلال أدائهم فريضة الحج، وزيارة قبل الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك أخذ العلم من مختلف العلماء والمشايخ والتبرك بلقائهم وأيضا ممارسة التجارة والأعراض السياسية المتنوعة في ربط العلاقات مع الملوك وسلاطين دول المشرق الإسلامي.
- تنوع المحطات التي مر بها الرحالة المسلمون من المغاربة والأندلسيون، أهمها مكة التي تعتبر مركزاً علمياً هاماً لهم لما تكتسبه من مكانة ثقافية وعلمية في نفوس طلبة العلم وهي تعتبر أفضل بقاع الأرض وكذلك المدينة المنورة التي تحوي المسجد النبوي الذي يحتل المركز الثاني بعد المسجد الحرام فهو مركز استقطاب وجلب للمغاربة بمختلف فئاتهم وخاصة الرحالة منهم، وأيضا مصر والبيت المقدس اللذان يعتبران إحدى حواضر المشرق الإسلامي في فترة الوسيطية.
- اهتمام السلاطين والأمراء بتجهيز الركب المتوجهة للحجاز خاصة المغاربة حيث نجد السلطان المريني اهتم بهذا الشأن على تجهيز الركب الفاسي وجعله متميز عن غيره، وأيضا الركب الصالحي والمراكشي.
- صعوبة المسالك والطرق المؤدية للحجاز في الفترة الوسطية، وذلك لما تتعرض إليه القوافل المتجهة إلى الحج من تعطيلات ومعيقات منها بشرية المتمثلة في اللصوص

والضرائب... وغيرها، وأيضا الطبيعية المتمثلة في الرياح التي تعترضهم أثناء مسيرتهم سواء البرية او البحرية وغيرها من المعيقات الطبيعية.

- تعدد وكثرة الرحلات المتجهة نحو المشرق في القرن السابع الهجري، جعل من الرحالة والمغاربة والأندلسيين من يرتحلون لأداء هذه الفرضية وزيارة المراكز المتواجدة في المشرق نذكر منهم محمد العبدري الحيحي الذي ارتحل سنة 668هـ لأدائه فريضة الحج كان الهدف من رحلته التجارة والعلم، أيضا ابن رشد السبتي الفهري الذي كان مهتما بدراسة المذاهب الأربعة دون تمييز في المشرق ارتحل لأداء فريضة الحج في القرن السابع هجري وكذلك التجيبي أيضا.

- أما الرحلات خلال القرن الثامن الهجري نجدها كثيرة أيضا المتوجهة نحو المشرق نذكر منها رحلة ابن بطوطة الذي ارتحل سبعة مرات لأداء فريضة الحج، وكان كل ما ارتحل مر بمركز علمي في المشرق و ساهم في نشر الثقافة المشرقية في المغرب، وأيضا الرحالة البلوي رغم أصله الأندلسي إلا أن تأثره بالمغرب ونشأته فيها جعل منه رحالة استفاد منه المغرب الإسلامي بنقله الحضارة المشرقية إلى المغرب الإسلامي، وأيضا العلامة ابن خلدون الذي ارتحل إلى الحج وأثناء رحلته كان يصف كل المشاهد والعادات الموجودة في المشرق والتي انتقلت للمغرب فيما بعد.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة توضح رحلات ابن بطوطة[1]

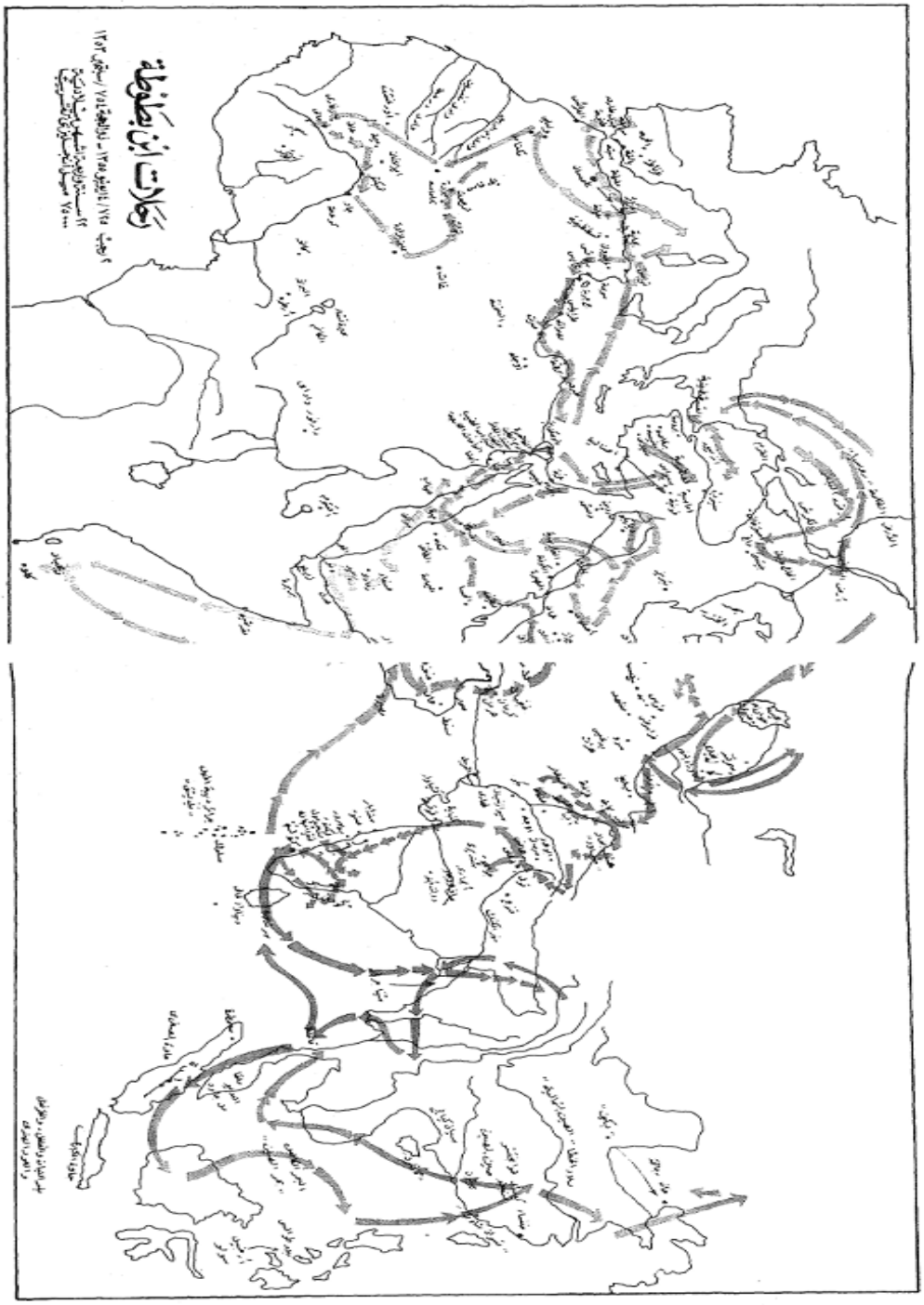

[1]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص295.

الملحق رقم 02: يوضح رسم تخطيطي لجغرافية مكة المكرمة ويظهر منه إتقان الرحالة في وصفها[1]

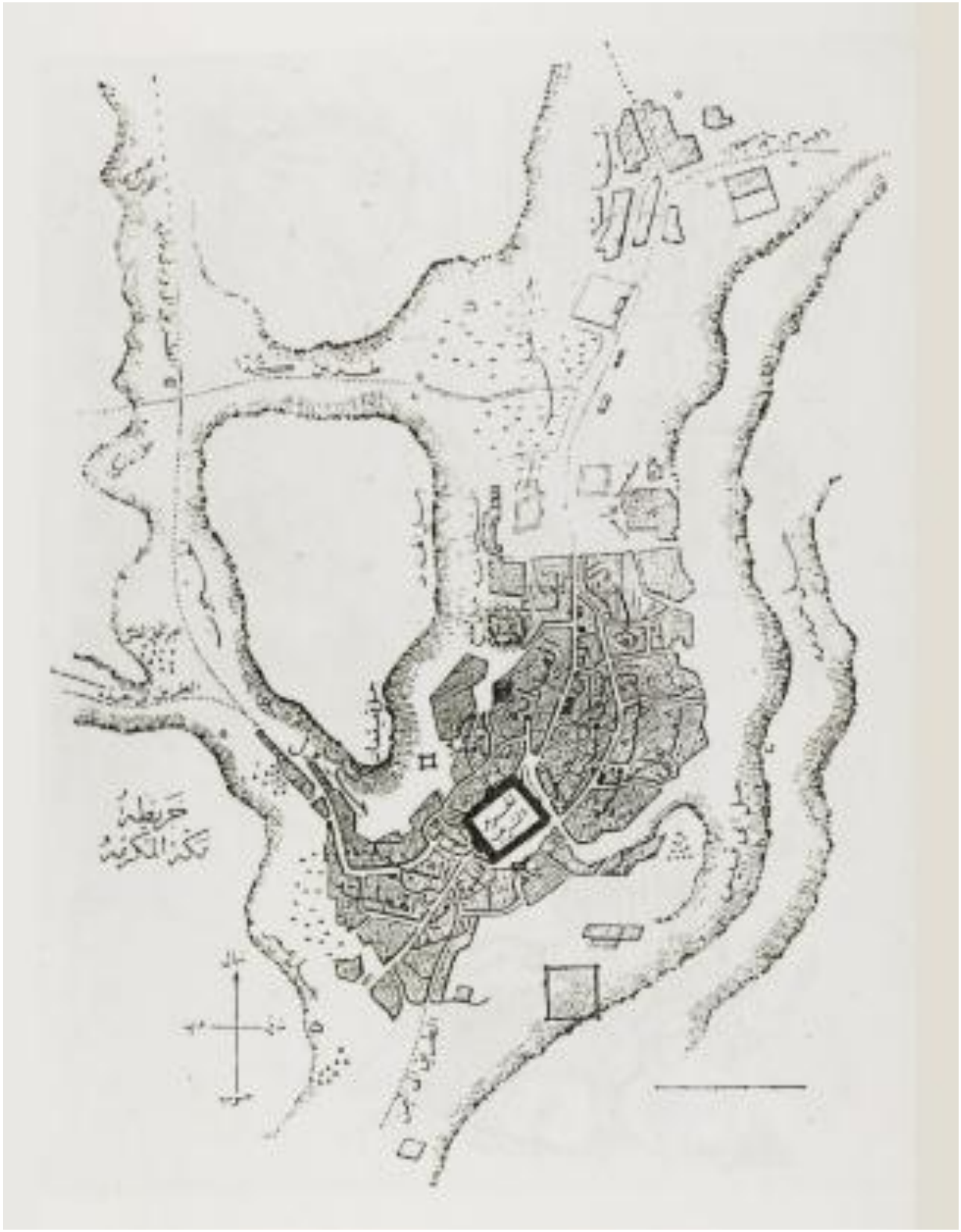

[1]– عواطف محمد نواف، مرجع سابق، ص443.

قائـــمـة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر

1. ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1992م.
2. البخاري الشعفي محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: الجامع المسند الصحيح المختصر في أمور رسول الله المصطفى ﷺ وسننه: صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ط1، 1422هـ، ج2.
3. ابن بطوطة محمد بن عبد الله: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار لحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987م، ج1، ج2.
4. البلوي: التاج المفرق، (د، ب)، (د، د)، (د، ط)، (د، س)، ج1، ج2.
5. التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1989.
6. ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، س).
7. أبو الحافظ أبي عبد الله محمد عثمان، مناقب الإمام أبو حنيفة، تح: محمد زاهد الكوثري وآخرون، تحية المعارف النعمانية، بيروت، لبنان، ط1، (د، س).
8. الحميري عبد المنعم: الروض المعطل في خبر الأقطار، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ- 1977م.
9. ابن حوقل النصيبي القاسم. صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 2ط، 1938، قس1.
10. ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1421هـ، 2001م، ج1.

11. ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، (د، ب)، (د، ط)، (د، س)، ج6، ج7.

12. الزركلي خير الدين: الاعلام قاموس تراجم شهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين المستشرقين، دار العلم للملاين، بيروت، مايو 2006، ط15، ج6.

13. السبتي ابن رشيد الفهري أبي عبد الله محمد بن عمر: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م، ج1، ج5.

14. السخاوي شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 1354هـ، ج4.

15. السيوطي جلال الدين الحافظ: بغية الوعان في طبقات اللغوين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركاه، (د،ب)، ط1، 1389هـ، 1965م، ج1.

16. الشريف الادريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس الحمودي الحسيني: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د، ط)، 2002م.

17. أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري: الاستقصاء أخبار دول المغرب الأقصى، دار البيضاء، المغرب، ط1، 1954م،ج2، ج3.

18. العبدري محمد الحيحي: الرحلة المغاربية، تق: سعد بوقلاقة، منشورات بدنة، الجزائر، (د، ط)، 2007م، ج1، ج2.

19. ابن العماد: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1986، ج7.

20. ابن العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، (د، د)، (د، ب)، (د، ط)، (د، س).

21. عياض القاضي: ترتيب المدارك وتغريب المسالك في معرفة أعيان مذهب مالك تح: محمد بن تاويت الطنجي، مكتبة المملكة المغربية، الرباط، (د.ط)، (د.س)، ج1.

22. ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: محمد الاحمدي ابو انور، دار التراث، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ج2.

23. أبي القاضي ابن العباس احمد بن محمد المكي: درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د،ط)، 1390هـ- 1970م، ج2.

24. ابن قنفذ القسنطيني ابن العباس أحمد الخطيب: أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وإدلوف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، (د، ط)، 1965م.

25. المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم ويسر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوس، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1403، 1983، ج1.

26. محمد مخلوف بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ط)، (د.س).

27. المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدلولي، القاهرة، ط3، 1991م.

28. المقري أبي عباس: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح، إبراهيم الأبياري، مطبعة الجنة، القاهرة، (د،ط)، 1359هـ- 1940هـ، ج2.

29. المكناسي أحمد بن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط. (د،ط)، م1973، ج2.

30. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، س)، ج2.

31. الوزان الحسن، وصف افريقية، تح، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2.

32. أبي اليعقوبي: البلدان، (د، د)، (د، ب)، (د، ط)، (د، س).

ثانيا: المراجع

33. أحمد محمود: جامع عمر بن العاص، المطبعة الأميرية بولاية القاهرة، (د، ط)، 1938م.

34. أغناطيوس يوليا نوقتشيكرا تشكوقسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، دط، 1957، قس1.

35. بالخميس مولاي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ط2، 1981م.

36. بن تاويت الطنجي محمد: رحلة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الخضرمي الإشبيلي المتوفي 808هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003م، 1425هـ.

37. بن عبد الله المنيع الجوهرة: الرحلات العربية مصدر من مصادر التاريخ المملكة العربية السعودية في فترة (1338- 1473هـ / 1960- 1953م)، مكتبة الملك فهد، الرياض، (د، ط)، 1431هـ.

38. بن عقير موسى الشريف محمد بن حسن: الرحالات الحجازية إلى مكة والمدينة المنورة، دار الأندلس، الخضراء، السعودية، ط1، 2000م، مج1.

39. التازي عبد الهادي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، (د، ط)، 2005م، ج1.

40. التليسي رمضان بشير: الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص252.

41. حدادي أحمد: رحلة ابن رشيد السبتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغاربية، (د، ط)، 1424هـ، 2003م.

42. حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.

43. حلاق حسان: مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1996م.

44. الخوري فؤاد: مختصرات من تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار النهضة، (د، ط)، 2006م.

45. الشامي صالح الدين: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط2، 1999م.

46. الشاهدي الحسن: أدب الرحلة في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، (د، ط)، 1985م، ج1.

47. ضيف شوقي: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 111هـ.

48. عبد العزيز الحجمة نواف: رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن للهجرة (12- 14)م، دار السويدي، دار الأهلية، أبوظبي، الأردن، ط1، 2008م.

49. عبد اللطيف الصعيدي عبد الحكيم: الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 1996م.

50. عيسى الحريري محمد: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني، دار القلم، الكويت، (ط1)، 1405هـ- 1955م.

51. فاتح الكيلاني جمال الدين: الرحلات والرحلة في التاريخ الإسلامي (دراسة تاريخية)، دار زنبقة، (د، ط)، 2014م.

52. قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002م.

53. الكردي إبراهيم علي: أدب الرحلات في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د، ط)، 2013م.

54. محمد حسن زكي: الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، (د، ط)، 1402هـ/ 1981م.

55. محمد فهيم حسن، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1989م.

56. مختار الماسي محمد ، المذهب المالكي، مركز زايد، (د، ط)، 2002م.

57. المنوني محمد: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطون، (د ط)، 1953م.

58. مؤنس حسن: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، 2003م.

59. يوسف نواب عواطف محمد: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من طرف تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د، ط)، 1996م.

ثالثاً: الندوات والملتقيات

60. باشا نجاة: التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجري، منشورات الجامعة التونسية، 1976م.

61. بن عبد الله السماوي إبراهيم: ثقافة مكة المكرمة في أدب الرحلات الحجازية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.

62. بن يحي محمد عمر: مكة المكرمة أهمية الدور والمكان، المجلة العربية، العدد العاشر، صفر 1427هـ، مارس 2006م، الرياض.

63. بو زيان بن عيسى: فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن التاسع الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.

64. عبد الغني سليمان: تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين دراسة تاريخية ميدانية، مركز أبحاث الحج، مكة المكرمة.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

مدخل

مفاهيم أولية

- تعريف الرحلة.....8

أ- لغة.....8

ب- اصطلاحا.....9

الفصل الأول

إرهاصات رحلات المغاربة إلى الحج

أولا: دوافع الرحلة.....12

1- الدفاع الديني.....12

2- الدافع العلمي.....14

3- الدافع التجاري.....15

4- الدافع السياسي.....16

ثانيا: المراكز العلمية في بلاد المشرق.....18

1- مكة المكرمة: 18

2- المدينة المنورة: 20

3- بيت المقدس.....21

4- مصر.....22

ثالثا: نماذج من ركب الحجيج المغاربي (قوافل) 26

1- الركب الصالحي.....26

2- الركب الفاسي.....26

3- الركب المراكشي.....28

رابعا: طرق ومسالك رحلات الحج.....28

1- الطريق البري.....29

2-الطريق البحري.....31

خامسا: معيقات رحلات الحج.....31

1- المعيقات البشرية.....32

2- المعيقات الطبيعية.....33

الفصل الثاني

نماذج من الرحالة في القرن السابع والثامن الهجريين

أولا: نماذج من الرحالة قبل القرن السابع والثامن الهجريين.....36

ثانيا: رحالة القرن السابع هجري.....40

1- رحلة العبدري (في اواخر القرن السابع هجري).....40

2- رحلة ابن رشد السبتي الفهري (657-721هـ) (1258-1321م).....45

3- رحلة التجيبي: (670-730هـ) (1271-1329م).....48

ثالثا: رحالة القرن الثامن هجري.....51

1- رحلة ابن بطوطة: (703- 770هـ) (1303- 1368م).....51

2- رحلة البلوي (713-780هـ) (1313-1378م).....56

3- رحلة عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ) (1332-1406م).....59

الخاتمة.....65

الملاحق.....68

قائمة المصادر والمراجع.....71

فهرس المحتويات.....78

تم بحمد الله